مجلة شهرية

Issue No: 177 عدد:

May 2022 شهر أيار

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

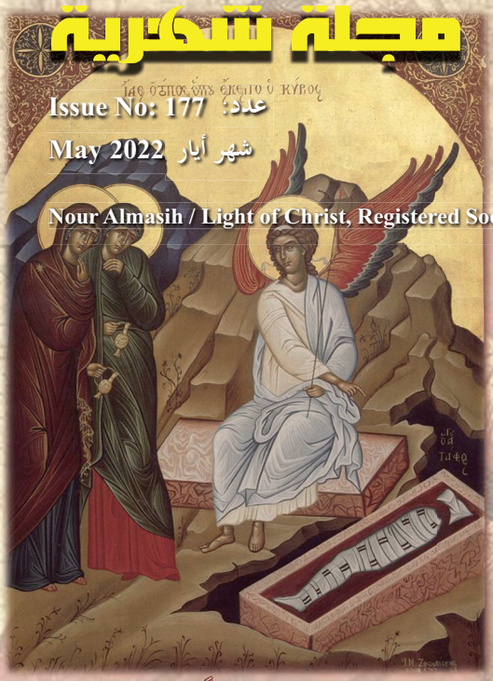

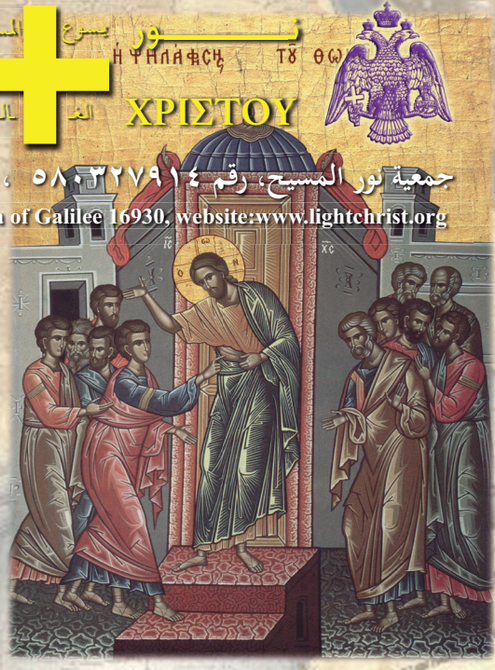

لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ

فيلبي 3: 10

إنَّ توما المُكَنَّى بالتوأم قد تجاسَرَ وحدَهُ فمنحنا ايمانًا بعدم الايمان، وحَلَّ جهل الكُلّ المدلهمّ بعدم الايمان الحسَن، وضفر لذاتِهِ اكليلًا حقيقيًّا بقوله: انتَ هو الرَّبّ الفائق سموّهُ المبارك اله آبائنا

إنَّ حاملات الطيب لمَّا ادلجنَ سحرًا عميقًا وشاهدنَ القبر فارغًا فقلن للرسل ان المقتدر قد ضمحل الفساد واختطف الذين في الجحيم من العقالات. فاكرزنَ بمجاهرة ان المسيح الاله قد قام مانحًا ايانا الرحمة العظمى

بما أنك للمأسورين محرّرٌ ومعتقٌ للفقراء والمساكين عاضدٌ وناصرٌ؛ وللمرضى طبيبٌ وشافٍ وعن الملوك مكافحٌ ومُحاربٌ. أيها العظيم في الشهداء جاورجيوس اللابس الظفر تشفع الى المسيح الاله في خلاص نفوسنا

إنَّ السامريَّة هتفت نحو المسيح الكلمة: انتَ هو ماءُ الحياة فاسقني اذًا كُلّ حين انا الظامئة الى نعمتك الالهيَّة ايها الرَّبّ يسوع لئلَّا انضبط بغليل أُوام الجهل، بل انذر مُخبرة بعظائمك

إنَّ المخلِّص قد أكمَلَ آيات فائقة العجب واشفَى اعمى منذ مولدهِ لمَّا طلاهُ بالطين قائلًا: اذهب واغتسل في سلوان لكيما تعرفني الهًا متخطرًا على الارض متوشحًا بشرةً لاجل غزارة مراحمي

إنَّ الطريح منذ سنين كثيرة قد صيَّرتهُ معافًى بكلمةٍ وصوَّتَ بهِ: ارفع سريرك وانطلق مُسبّحًا عظائم الله

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الأحد الأوّل بعد الفصح المجيد، المعروف بأحد القديس توما الرسول في كفركنا - ٢٠١٩/٥/٥

«هٰذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلاَمِيذُهُ.» (يوحنا ٢: ١١).

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيون والزوار الأتقياء

إنَّ **النُّور غير المَخلوق، نور قيامة مخلصنا يسوع المسيح** الذي لا يعروهُ مساءٌ، قد جمعنا اليوم في هذا الموضع والمكان المقدس في **قانا الجليل** حيث صار «عرس قانا الجليل» وذلك لكي نُسَبِّحَ ونُبَارِكَ ونُمَجِّدَ **المسيح** القائم إلى الدهر. فمن جهةٍ كانت أُمُّ يَسُوعَ حاضرةً في هذا العرس، (يو٢:١) ، ومن جهةٍ أخرى دُعِيَ أَيْضًا يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ (يو٢: ٢).

إن حضور **المسيح** في عرس **صديقه** سِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ. (لوقا ٦:١٥) قد حصل لسببين:

أوَّلًا: لكي يجعل **الزواج** سرًّا مقدسًا ويحرِّر المرأة من **لعنة الناموس الموسويّ** كما يُعلّم **القديس كيرلُّس الإسكندري**، إذ يقول: لقد تقدَّسَ الزواج المُكرَّم واضْمَحَلَّتِ اللعنة عن المرأة فلن تلد أبناءها بالأحزان فيما بعد فقد بارك المسيح بداية ولادتنا الذي هو الزواج.

ثانيًا: قام بتحويل الماء إلى خمر كما يشهد **القديس يوحنا الإنجيلي** «فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ، لكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدِ اسْتَقَوُا الْمَاءَ عَلِمُوا» (يو٢:٩).

في هذا العرس أظهر **يسوع المسيح** لأوَّلِ مَرَّةٍ مجدَهُ أي ألوهته، أي أظهر أنَّه **كلمة الله** الذي انحدر من السماوات **إلى الأرض** ولبس **الطبيعة البشرية** كما يلبس العريس لباس العرس. لهذا فإنها بالحقيقةِ تُدعى **الطبيعة البشرية** بالعروس **والمسيح** بالعريس بحسب **القديس كيرلُّس الإسكندري**.

وبكلام آخر إنَّ عرس **قانا الجليل** يُشكل صورة ومثالًا للعرس الروحاني ما بين **المسيح** العريس والعروس التي هي **الكنيسة** كما يشهد **القديس يوحنا الإنجيلي** في سفر الرؤيا. «لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ! لأَنَّ عُرْسَ الْخَرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا. وَأُعْطِيَتْ أَنْ تَلْبَسَ بَزًّا نَقِيًّا بَهِيًّا، لأَنَّ الْبَزَّ هُوَ تَبَرُّرَاتُ الْقِدِّيسِينَ. وَقَالَ لِي: اكْتُبْ: طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ! وَقَالَ: هذِهِ هِيَ أَقْوَالُ اللهِ الصَّادِقَةُ.» (رؤيا ١٩: ٧-٩).

وبتوضيح أكثر، أي لنفرح ونبتهج ونعطِ المجد له، وذلك لأنه قد حضرت ساعة عرس الحمل الرُّوحي والدهري، فالعريس هو **يسوع المسيح**، وعروسه **الكنيسة العروس الروحيَّة**، فقد زيَّنها وهيَّأها وخوَّلها أنْ تلبس كِتَّانًا بَرَّاقًا نَقِيًّا خالصًا والذي يرمز إلى القداسة والفرح الملكي، وذلك لأنَّ اللباس الكتاني وأعمال البِرِّ هي **فضائل القديسين في الكنيسة الظافرة التي هي أورشليم الجديدة**. وقال لي الملاك: «اكْتُبْ: طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ!»، الذين سيشتركون في الفرح والغبطة الأبديَّة. وقال لي: إنَّ هذه الأقوال التي تؤكد غبطة المؤمنين، وذلك من خلال اتحادهم **بالمسيح**:«هذِهِ هِيَ أَقْوَالُ اللهِ الصَّادِقَةُ» (رؤ ١٩:٩).

وأمَّا فيما يخص عجيبة تحويل الماء إلى خمر، فإنَّ هذا لا يُشكِّل فقط ظهور لمجد **يسوع المسيح** بل أيضًا صورة ومثالًا للمشروب الجديد ونحن المدعوون لشربه كما يقول **مرنّم الكنيسة**: «**هلمُّوا بنا نشرب مشروبًا جديدًا ليس مُستخرجًا بآية باهرة من صخرةٍ صمّاء، لكنّه ينبوع عدم الفساد بفيضان المسيح من القبر الذي به نتشدّد**».

فنحنُ **أيها الإخوة الأحبة** الذين نُدعى مسيحيين ونحمل اسم **المسيح** «هذا الاسم الذي يفوق كُلِّ اسْمٍ» (فيلبي٢: ٩)، فلنشرب هذا المشروب الجديد الذي يخرجُ وَيَتَدَفَّقُ من قبر **مخلصنا يسوع المسيح** القابل للحياة. فقبر **المسيح** هو النبع الذي لا ينضُب ونبع عدم الفساد، الذي يمنحنا تجديد قيامة **مخلصنا يسوع المسيح**.

ويتبادَر إلى اذهاننا السؤال التالي: **ما هو هذا المشروب الجديد؟** إنَّه دم **المسيح** الكريم المُحْيِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. (متى٢٦:٢٨)، وهو مشاركتنا في العشاء الشكري لجسد ودم ربنا **يسوع المسيح** حيث نتذوَّق به مُسْبَقًا الحياة الأبديَّة **وقيامتنا العامة**. «مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو٦:٥٤). ويُفسِّر **القديس كيرلُّس الإسكندري**: «علينا أن نعجب بالإنجيلي يوحنا الذي قال: والكلمةُ صارَ جسدًا (يوحنا ١: ١٤) فليس أنَّ المسيح قد دخل في جسدٍ بل قد أصبح جسدًا، وذلك لكي يُظهر الاتحاد بين الطبيعتين (الإلهية والبشرية). وأيضًا بما يخصّ طبيعة المسيح، فالمسيح هو واحدٌ وهو مُكَوَّنٌ من طبيعتين. وهذا الاتحاد قد تمَّ بحالٍ لا يوصف يفوق العقل، كيف أنَّ كلمة الله قد اتَّحدَ بالجسد البشري».

إنَّ **يسوع المسيح** أيُّها الإخوة الأحبة **وقيامته المجيدة** يُشَكِّلَانِ حجر الأساس للإيمان المسيحي كما يُكرز **القديس بولس الرسول**: «فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١كور٣:١١). ويقول أيضًا: «وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ » (١كور ١٥: ١٤).

وعدا هذا فإنَّ **القديس الرسول توما التوأم** يؤكد من خلال عدم تصديقه وعدم ايمانه بقيامة **المسيح** فقد صار **عدم الإيمان** هذا تأكيدًا للإيمان بقيامة **المسيح** كما يشهد بذلك **الإنجيلي يوحنا**: « ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا. أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: رَبِّي وَإِلهِي! قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا.» (يوحنا ٢٠: ٢٧-٢٩).

إنَّ **فِصْحَنَا المسيح قد اتضح لنا اليوم فصحًا شريفًا. فصحًا جديدًا مقدسًا. فصحًا سريًّا. فصحًا فاتحًا لنا أبواب الفردوس.** هذا ما يقوله **مرنم الكنيسة**، وهذا لأنَّنَا في هذا اليوم الذي هو الأحد الثاني من الفصح نُعيّد لتجديد قيامة **المسيح**.

إنَّ هذا التجديد أيُّها الإخوة الأحبة يخصّ تحرُّرنا في **المسيح** من **موت الخطيئة والفساد، وبطبيعتنا البشرية** التي اتخذها **المسيح** والتي ألَّهَهَا بقيامتِهِ حتى تستطيع أن تُساهم في نهار مُلك الرَّبِّ الذي لا يَغْرِبُ أبدًا. « وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي» (متى٢٦:٢٩).

ختامًا، نتضرع **إلى أُمِّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الفائقة البركات سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم**، و **العريس والرسول سمعان القانويّ**، لأن يتشفَّعَا الى مخلصنا **يسوع المسيح** القائم من بين الأموات من أجل خلاصنا، حتى يؤهِّلنا ويجعلنا مستحقين أن نُساهم في عشاء ملكوت السماوات المُعطي لنا الحياة الأبديَّة . آمين .

الإيمان المُعلن لنا – عند لقديس كيرلُّس الأورشليمي

« إنَّ مُصطلحات إيمانِنَا ليست من مُكَوِّناتِ وُجْهَةِ نظرٍ بشريَّةٍ، ولكنها مبادئ أساسيَّة جُمِعَتْ من كل الأسفار المقدسة لِتُشَكِّلَ لنا **صيغة الإيمان**».

يقول: «نُؤمن أيضًا **بِٱبن الله**، هو واحد وفريد **ربَّنا يسوع المسيح** ، إله مولود من إله، حياة مولود من حياة، نور من جنس النور، مشابه للَّذي ولده في كُلِّ شَيء. لم يَنَل وجوده في زَمَنٍ ، ولكن من **الآب** قبل كُلّ الدهور، في الأزليَّة على نحوٍ لا يُمكن إدراكه. إنَّهُ **حكمة الآب وقوَّته وَبِرُّهُ**، موجود جوهريًّا يجلس عن يمين **الآب** قبل كُلّ الدهور، وليس كما يظن البعض أنَّهُ تُوِّجَ بعد الآمه، إذ أجلسه على يمينه بعد ما تألم على الصليب، إنه متفرد بالملوكيَّة منذ الأزل. **مولود أزليًّا من الآب**، ويشترك **معه** في عرشه **كإله**، وكما نقول: إنَّهُ **حكمة وقوَّة الله** ويملك مع **الآب**، ومن خلال **الآب** هو **خالق** لكُلّ الأشياء.

لايوجد نقص في عظمته أو إلوهته، ويعرِف **الآب** الذي ولده ، كما أنَّهُ معروفٌ **للآب** أبيه.»

قيامَةُ المسيحُ

اليوم تبتهج كُلُّ الملائكة وتفرح كُلُّ القوات السماوِيَّة لأجل خلاص كُلِّ الجنس البشري. فإنْ كان هنا فرحٌ في السماءِ بخاطئٍ واحدٍ يتوبُ، فخلاصُ كُلِّ البشرية أَوْلَى بهذا الفرح الكبير .

اليوم تحرَّر الجنس البشري من قبضة الشَّيطان وأُعيد الإنسان إلى رُتبتِهِ الأولى، إذ أنَّ المسيح انتصر على الموت. إنَّني لا أخاف بعد ولا أرتعب من الحروب الشيطانيَّة، ولا أنظر إلى ضَعْفِي، لكنَّني أتطلع إلى قُوَّة ذاك الذي صار لي سَنَدًا وعَوْنًا، أتطلع إلى ذلك الذي هَزَمَ الموت ونزعَ طغيانه. اليوم يسود الفرح والابتهاج الرُّوحي كل المسكونة .

إذن، تأمَّل أيُّها الحبيب مقدار هذا الفرح العظيم، حيث القوات السماوِيَّة تحتفل معنا اليوم مبتهجين لأجل الخيرات التي تنتظرنا، لهذا فَهُم لا يخجلون أن يحتفلوا معنا. ولماذا أقول هذا الكلام؟ لأنَّ الرَّبّ نفسه يشتهي أن يحتفل معنا. وكيف عرفنا ذلك؟ أسمع ما يقوله الرَّبّ : «شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ » (لو ١٥:٢٢). فلو كان قد اشتهى أن يأكل الفصح، فمن الواضح أنه يشتهي أن يحتفل معنا اليوم.

إذن عندما ترى أنَّ الملائكة وكل القوات السماوِيَّة، بل وملك الملوك نفسه يحتفل معنا اليوم، إذن فماذا ينقصك لكي تفرح فرحًا عظيمًا ؟

اليوم يجب ألَّا يحزن أحدٌ بسبب فقره، لأنَّ الاحتفال اليوم هو احتفال روحي، وألَّا يفتخر الغنيُّ بغناه، لأنه ليس له أيّ فضل في هذا الاحتفال .

هناك احتفالات عالميَّة تُقام خارج الكنيسة مليئة بمظاهرِ الأُبَّهَةِ والموائد الغنيَّة بالأطعمة، وهي تُعثر الفقير الذي لا يستطيع أنْ يصنعَ مثل هذه الأمور. ومن الطبيعي أنْ يتضايق ويحزن. فلماذا يرتدي الغنيُّ ملابس زاهية، ويقيم موائد حافلة وغَنِيَّة بصنوفِ الأطعمة المختلفة، بينما لا يستطيع الفقير أنْ يصنع هذا بسبب فقرِهِ ؟

هذا ما يحدث بالخارج، بينما هنا داخل الكنيسة لا يحدث شيء من هذا كُلِّه، ولا يوجد هذا التمييز، بل توجد مائدة واحدة للغنيّ والفقير، للعبدِ والحُرِّ.

هل أنتَ غنيٌّ ؟ حتى وإن كنت؛ فليس لك أفضليَّة على الفقيرِ. هل أنت فقيرٌ؟ إنك لست أدنى مِنَ الغنيّ . فالفَقر لنْ يَنتقص من أفراح المائدة الروحِيَّة. لأنَّ النعمة هي من الله وهي لا تُميِّز بين الأشخاص. هذه هي العطايا الروحِيَّة ، التي لا تُقَسِّم المجتمع بحسب المناصب، بل بحسب المُستوى الرُّوحي، وبحسب استقامة أفكار كل أحد. ولهذا فإنَّ الملك والفقير يتقدمان معًا نحو الأسرار الإلهيَّة بنفس الثقة وبنفس الكرامة، لكي يتمتَّعا بالتناول منها. لأنَّ لباس الخلاص هنا هو واحدٌ للجميع أغنياء وفقراء، والرسول بولس يقول: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غل٣:٢٧).

أرجو ألَّا تستهينوا بهذا الاحتفال، ولتكن لنا رؤية لائقة بتلك العطايا التي منحتنا إيَّاها نعمة المسيح، وألَّا نُسلِّم أنفسنا للسُّكْرِ والبَطَرِ. ما دُمنا قد أدركنا المحبة الإلهيّة وسخاء إلهنا مع الجميع، للفقراء والأغنياء، للعبيد والأحرار، إذ أعطى للجميع نفس النعمة، فلنُقَدِّم المقابل الى ذاك الذي أظهر تلك المحبة نحونا، والمقابل اللائق به هو: السلوك المُرضِيُّ لله من نحونا ، وأيضًا النفس الساهرة المتيقظة.

لنحتفل إذن بهذا العيد، عيد قيامة المسيح. لأنه قام وأقام كُلّ البشريَّة معه. لقد قام وكسر كُلّ قيود الموت ومحا كُلَّ خطايانا.

أخطأ آدم ومات، والمسيح لم يُخطئ ولكنه مات. أمرٌ غريبٌ وعجيبٌ، لماذا مات المسيح وهو لم يُخطئ؟ حدث هذا لكي يستطيع الذي اخطأ ومات أنْ يتحرَّر من قيود الموت بمعونة ذاك الذي مات، رغم أنه لم يُخطئ. (هذا المفهوم هو ما يعبّر عنه نصّ اللحن الكنسي «المسيحُ قام» إذ تُردِّد الكنيسة بإيمان: «المسيح قام من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور).

فمثلًا يحدث مرَّاتٍ كثيرة أنْ يكون أحدٌ مَدِينًا بمبلغ من المال لشخصٍ آخَر ثُمَّ يعجز عن السداد، فيأتي شخصٌ ثالثٌ لديه القدرة على تسديد هذا الدين، وعندما يدفعه فإنه يُحَرِّر هذا المَدِين. هذا ما حدث لآدم إذ كان مَحكومًا عليه بالموتِ، فأتى المسيح وحَرَّرَهُ من قيود الموت، مع أنَّ المسيح لم يكن مَدينًا بأيِّ شيء. أرأيت مفاخر القيامة؟ أرأيت محبة الله للبشر؟ أرأيت مقدار العناية العظيمة؟.

اليوم يجب أنْ نُنْشِدَ مع **داود النبي**: «من يتكلَّم بجبروت الرَّبِّ، ومن يخبر بجميع تماجيده؟» (مز١٠٥:٢).

لقد بَلغَنا الاحتفال الخلاصي الذي كنَّا نشتهيه. إنَّهُ يوم قيامة **السَّيد المسيح**، يوم السلام و المصالحة، اليوم الذي فيه بَطُلَ **الموت و انهزم الشَّيطان**. في هذا اليوم انضَمَّ **البَشر** الى **الملائكة**. اليوم يُقَدِّمُ البشر تسابيحهم مع **القوات الروحيَّة**. اليوم **أُبْطِلَتْ أسلحة الشَّيطان، وانفكَّت قيود الموت وأُبيد جبروت الجحيم**.

اليوم سَحَقَ **ربنا يسوع المسيح** **الأبواب النحاسيَّة وأزال شوكة الموت**. اليوم نستطيع أن نقول مع **الرسول بولس**: «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (١كو١٥:٥٥).

لقد غَيَّرَ حتى **اسم الموت**، فلا يدعى بعد **موتًا**، بل **نومًا ورقادًا**. كان **اسم الموت مُخيفًا** قبل ميلاد **المسيح** وصلبه، لأنَّ الإنسان الأول عندما خُلِقَ سَمِعَ :«لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تك٢:١٧). و **داود النبي** يقول: «مَوْتُ الْخُطَاةِ شِرِّيرٌ» (مز٣٣:٢١). كما كان انفصال النفس عن الجسد يُدعى **موتًا وهاوية**، ويقول **يعقوب أبو الآباء** : «تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلَى الْهَاوِيَةِ » (تك٤٢:٣٨).

وإشعياء النبيّ يقول: «وَسَّعَتِ الْهَاوِيَةُ نَفْسَهَا، وَفَغَرَتْ فَاهَا بِلاَ حَدٍّ» (إش٥:١٤). وأيضًا « لأن رحمتك عظيمةٌ عَلَيَّ وقد نجيَّت نفسي من (الهاوية) الجحيم السفلي» (مز٨٥:١٣). هذا المفهوم عن **الموت** نجده في مواضع أخرى كثيرة من **العهد القديم**، غير أَنَّهُ منذ أنْ قَدَّمَ المسيح ذاته ذبيحةً من أجل كُلِّ **البشريَّة**، وقام من الموت أَلْغَى كُلّ هذه الأسماء وَقَدَّم **للبشريَّة** حياة جديدة لم تعرفها من قبل، فلا يُسمَّى بعدُ، الخروج من هذا العالم، **موتًا** بل **نومًا أو انتقالًا**.

من أين يتضح هذا؟ اسمع **المسيح** يقول : «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ». (يو١١:١١).

فكما هو سَهْلٌ بالنسبة لنا أنْ نوقظ نائمًا، فإنَّهُ سَهْلٌ بالنسبة **للمسيح** أن يُقيم **ميتًا**. ولأنَّ كلامه هذا كان غريبًا وجديدًا فإن **التلاميذ** أنفسهم لم يفهموه.

ومعلم المسكونة القديس بولس يكتب إلى أهل تسالونيكى: « ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ.» (١تس٤:١٣). ويقول أيضًا: «إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ.» (١تس٤:١٥)، وأيضًا: «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ.» (١تس٤:١٤).

أرأيت **أنَّ الموت** يُسمى **رُقادًا أو نومًا** ؟!. **إنَّ الموت** الذي كان له **اسمًا مخيفًا** صار الآن **مُحتقرًا** بعد القيامة. أرأيت بهاء مجد القيامة ؟!

بالقيامة اكتسبنا خيرات غير محدودة. **بالقيامة أُبيدت حيل الشَّياطين وخداعهم**. **بالقيامة أنتُزِعَت شوكة الموت**. لذلك، **فالقيامة** تجعلنا **لا نتمسك بالحياة الحاضرة**، ونشتهي بكل قلوبنا خيرات الدهر الآتي.

القيامة جعلتنا في مستوى لا يقل عن **القوات الروحيَّة** مع أَنَّنَا موجودون في الجسد. إذنْ فلنفرح كلّنا ولنبتهج، لأنَّ هذه النصرة، نصرة **المسيح على الموت**، هي نصرة لنا، لأنه صنع كل هذا لأجل خلاصنا.

لِنُقَدِّم أنفسنا لمن قدَّمَ نَفْسَهُ عَنَّا

للقديس غريغوريوس النزينزي

إنَّهُ **فصح الرَّب**، إنَّهُ الفصح! لِنُرَدِّدْهُ **لمجد الثالوث**.

الفصح، بالنَّظرِ إلينا، عيد الأعياد، احتفال الاحتفالات، كما تكسِفُ الشمسُ النجوم، كذلك يكسِفُ هذا العيد الأعياد، ليس فقط أعياد البشر، بل أعياد السَّيّد **المسيح** نفسه.

بالأمس ذُبِح الحمل، ونُضِحت الأبواب بِدَمِهِ، وبكتْ مصرُ أَبْكَارَهَا، أمَّا نحن فنجونا بفضل الدم الزَّكيّ.

بالأمس كنتَ مصلوبًا مع **المسيح**، واليوم مُمجَّدٌ أنتَ **مَعَهُ**.

بالأمس كنت مائتًا معه، واليوم أنتَ حيٌّ **مَعَهُ**.

بالأمس كنت مدفونًا معه، واليوم أنتَ قائمٌ **مَعَهُ**.

فلنُقدِّم لا الهدايا فحسب للذي تألم لأجلنا ثم قام، بل أنفسنا فإنَّها أثمن الهدايا وأقربها إلى الله. صورة الله فينا: لنعكِسَنَّ الضِّياء اللائق بها اعتبارًا لقيمَتِنا، وإكرامًا لمِثالنا.

إذن لنفهمَنَّ ذلك السِّرَّ، ولماذا مات **المسيح**؟

لنَتشبَّهْ **بالمسيح** لأنه تشبَّهَ بنا. لِنَصِرْ آلهة **مَعَهُ** لأنه صار إنسانا لأجلنا.

لقد اعتنق الشيء الأقل صَلاحًا ليُعطينا الأفضل.

تسوَّل بشرتنا لنغتني بفقرِهِ.

إتخذ شكل عبدٍ ليُعتِقَنا من العبودية.

تنازل ليرفعَنا.

قبِلَ أن يُجرَّبَ ليُعينَنا على النَّصر.

احتُقِر ليُمجِّدنَا ومات ليُخلِّصنا.

صَعِدَ إلى السماء ليرفع إليه القابعين في الخطيئة.

فليُقدِّم كُلُّ واحدٍ منَّا كُلَّ ما يملك للذي **قدَّمَ نفسه فداءً** عنا.

فإذا فهمنا سِرَّ **الفصح** فلا نستطيع أن نعمل أفضل من أن نقدِّم أنفسنا **للمسيح**، فنُضَحِّيَ على مثاله كما ضَحَّى هو على مثالِنا.

١) « اليوم يوم القيامة فسبيلنا أن نتلألأ بالموسم، ونصافح بعضنا بعضًا، ولنقلْ يا إخوة، ولنصفح لمبغضينا عن كلّ شيء في القيامة، ولنهتف هكذا قائلين: **المسيح** قام من بين الأموات دائسًا الموت بموته والذين في القبور وهبهم الحياة».

٢) لقد مَسَحَني سِرٌّ، إبتعدتُ لبعض الوقت نحو سِرٍّ، فقد كنتُ بحاجة لأتَفَحَّص ذاتي.

أعود الآن مع سِرٍّ، حاملًا معي هذا اليومَ كمُدافِعٍ عن **جُبْني وضَعْفي**؛ كي يُجَدِّدَني مَن قام اليوم من بين الأموات بِروحِه، إذ يُسَرْبِلُني بالإنسان الجديد، كي يَهَبَني لخليقَتِهِ الجديدة، للمولودين من **الله**، كمِثالٍ ومعلّمٍ **للمسيح**، مائتًا بإرادتي معه وناهِضًا معه.

٣) أمسِ ذُبِحَ الحمل وخُتِمَت الأبواب، وانتحبَتْ مصر على أبكارِها، وجاز عنّا **مُهلِك النفوس**، والخَتْمُ كان مُوَقَّرًا ومَرْهوبًا، واحتمينا **بالدم الكريم**. (للمقارنة:انظر سفر الخروج الاصحاح الثاني عشر).

اليوم نَحونا سالمين من مصر ومن فرعون؛ ولا يستطيعنَّ أحد مَنْعَنا من التعييد **للرَّبِّ إلهنا** – عيد نجاتِنا – أو من إقامة هذا العيد، «لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلَا بِخَمِيرَةِ ٱلشَّرِّ وَٱلْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ ٱلْإِخْلَاصِ وَٱلْحَقِّ» (١ كور ٥:٨)، مُبَدِّدين **الخَميرَ المصري الكافر**.

٤) أمسِ صُلِبتُ معه؛ اليوم أتمجّدُ معه، أمسِ مُتُّ معه؛ اليوم أتشدّدُ به، أمسِ دُفِنتُ معه؛ اليوم أقومُ معه.

لكن فلنقدّم له، هو الذي تألّم وقام من أجلنا – ربما تظنّون أنني سأقول ذهبًا أو فضّةً أو حجارةً كريمة وثمينة، هذه هي **مادّة الأرض الزائلة** التي تبقى هنا في الأسفل، ويقتنيها دائمًا أُناسٌ أشرار، **عبيد الأرض وسلطان هذا العالم** – لكن فلنقدِّم ذَواتِنا، مُلْكَ المسيح الأغلى ثمنًا **لله**، فلنقدّم له كما يليق به، الصورةَ المصنوعةَ على مثال الصورة. فلنَعترِفْ بكرامتنا ونُعَظِّم مثال صورَتِنا، فلنتعلَّم قوة السِّر، وما مات **المسيح** من أجله.

٥) فلنُصبح مثل **المسيح**، بما أنَّ **المسيح** صار مِثْلَنا، فلنُسَلِّم ذواتِنا **لله** من أجله، فهو تأنّس من أجلِنا.

لقد احتمل المساوئ كي يُعطينا كلّ صلاح؛ صار فقيرًا كي نَغْتَني من خلال فَقْرِه (٢ كور ٩:٨).

إتَّخَذَ صورة عبدٍ كي نتحرّر به، تنازل كي نرتفع؛ خضع للتجارب كي نَغلِب التجارب؛ كان مُهانًا من أجل تَمجيدِنا؛ مات كي يُخلِّصنا؛

صَعِدَ إلى السماء كي يَجذُبَنا إليه، نحن الغارِقين في **سَقْطة الخطيئة**.

فلنُعطِ كلّ شيء، لنقدّم كلّ ما نَملُك للذي قدّم نفسه فِدْيةً ومُصالَحَةً من أجلنا. أفضلُ ما يمكن أنْ نقدّمه **هو ذواتُنا**، مُدرِكين السِرَّ، وصائرين من أجله كما صار **هو** من أجلنا.

٦) كما تَرَون، هو يقدّم لكم راعيًا؛ فهذا ما يَرجوه ويصلّي من أجله راعيكُم الصالح، الذي يَبذُل حياتَه من أجل خِرافه، ويطلب منكم أنتم الرعيّة، ويقدّم لكم ذاتَه مُضاعَفًا وليس فَرْدًا؛ ويجعل عَصَاه صولجانًا لروحِكُم.

ويُضيف إلى الهيكل المُتَحَجِّر هيكلًا حَيًّا؛ إلى ذلك المَزارِ السماويّ الفائق الجمال، هذا المقام الصغير والوضيع، لكنه عظيمُ الشأن بالنسبة له، إذ هو مَبْنيّ بالكثير من الكَدِّ والتَّعَبِ.

أقول هذا كمحاولة لِوَصْفِ أتعابه بجدارة. إنّه يضع كلّ ما يملك في خدمتكم: (يا لَعَظَمَةِ الكَرَم! أو بالأحرى، يا لَلْحُبِّ الأبويّ!) وَقارَه، شبابَه، الهيكل، رئيس الكهنة، المُوَرِّث، الوارِث، الأحاديث التي تتوقون لسماعها؛ الأحاديث التي لا يَشوبُها أيُّ باطل ولا تُوْلَدُ في الهواء، والتي لا تدخل الأُذن الخارجيّة فحسب، بل التي يكتُبها الرُّوح على ألواحٍ حجريّة ويُخَطُّها بوضوحٍ لا بالحبر بل بالنعمة.

٧) هذا ما قدّمه **ابراهيم الخليل**، هذا الرأس الكريم والعظيم، البطريرك، مَنْزِلة كل صلاح، قاعدة الفضائل، كمال الكهنوت، وهو يقدّم اليوم **للربّ** تضحيتَهُ بإرادتِهِ، إبنَه الوحيد، إبن الموعد.

هل تُقَدِّمون بِدَوركم الطاعة **لله** ولِرُعاتكم؟

مُقيمين في مساكن خضرة، مُسْتَقين من مياه الرَّاحة، عارِفين راعيكم جيِّدًا ومعروفين منه (يوحنا ١٠:١٤)، وتتبعونه عندما يناديكم الرَّاعي من الباب، ولا تتبعون غريبًا يتسلَّل إلى الحظيرة **كسارق وخائن، ولا تسمعون لصوتِ غريبٍ يخدعكم خِلْسَةً، ويبدّدكم** عن الحقيقة في الجبال (حزقيال ٣٤:٦) والصحاري والمهالك والأماكن البعيدة عن **الله**، **ويضلّلكم** عن الإيمان الحقّ **بالآب والابن والرُّوح القُدُس**، اللاهوت الواحد والقوة الواحدة، الذي تسمع خِرافي صوتَه دائمًا، ولكن **تحاول كلمات الخداع والباطل سَلْخَها** عن راعيها الحقيقي.

فلنكن مَحفوظين جميعًا، رُعاةً ورعيّةً، **من أقوال الخِداع كَسُمٍّ قاتل**؛ مُرشِدين ومُرشَدين بعيدًا عنها، كي نكون واحدًا **بالمسيح يسوع ربّنا**، الآن وحتى الأَخدارَ السماويَّة، له المجد والعِزَّة الآن وكل آنٍ وإلى دهر الداهرين، آمين. **(ملحوظة: القديس غريغوريوس اللآهوتي لديه تأملات رائعة، إذ يربط آيات العهد القديم والجديد بسرّ التدبير الإلهي).**

قيامة المسيح والمواهب الإلٰهيَّة للقديس غريغوريوس النيصصي

إنَّها لحكمةٌ ساميةٌ، تلك القاضية بأن تنسَى **السَّيئات** في أيام الفرح. فقد جلَبَ لنا هذا اليوم نسيان **الحُكْم الأول** الصادر بحقنا. وما قولي كذا؟ ليس النسيان، **بل الإلغاء**. لقد أُلغي تمامًا كل ذِكرٍ للقضاءِ علينا. كُنَّا قبلًا **نُولَدُ بالألم**، أمَّا الآن فنولدُ بدون ألم؛ لأنَّنا كُنَّا جسديين ونولدُ بالجسد، أمَّا مَن يولدُ الآن، فهو روحٌ مولودٌ من الرُّوح.

بالأمس كُنَّا نولد أبناءً للبشر، واليوم نولدُ أبناءً للهِ.

بالأمس كنا منبوذين من السماء إلى الأرض، واليوم جعلَنا **الرسول السماوي** مواطنين في السماء.

بالأمس كان **الموتُ سائدًا بسبب الخطيئة**، واليوم يملك العَدْلُ بفضل الحياة.

إنسانٌ واحدٌ فتح لنا قديمًا **باب الموت**، وواحدٌ اليوم أعاد لنا الحياة.

بالأمس **نبذَنا الموتُ** من الحياة، واليوم أبادت الحياةُ **الموتَ**.

بالأمس خبّأنا الخجلُ تحت التينة، واليوم يجذبنا الموت نحو شجرة الحياة.

بالأمس **طردَنا العصيان** من الفردوس، واليوم يُعيدنا إليه الإيمان.

قُدِّمَ لنا ثمرٌ منَ الحياةِ جديدٌ لكي نتلذَّذ به كما نشاء، وجرى من جديدٍ ينبوع الفردوس الموزَّعة مياهه بأربعة أنهار الأناجيل، لكي يُنعَش وجهُ الكنيسة. هكذا تستطيع أن ترتوي الآلام التي شقَّها زارع الكلمة في نفوسنا، فتتأثر بذور الفضيلة...

الآن تتمُّ راحة السبت الحقيقيَّة، تلك التي باركَها الله وفيها استراح من محَنِه، بعد أن احتفل بانتصاره **على الموت**، لأجل خلاص العالم. لقد ظهرت نعمةُ هذا النهار لعيوننا وآذاننا وقلوبنا. احتفلْنا بالعيد بكل ما رأينا وسمعنا وامتلأْنا فرحًا. ماذا رأينا؟ ضياء المشاعل التي كانت تُنقل في الليل كغمامة من نار.

وسمعنا طوال الليل رنين المزامير والأناشيد والترانيم الروحيَّة. فكان هذا سلسالًا مِنَ الفرحِ يجري بآذاننا إلى نفوسنا فيُفعمنا آمالًا سعيدة. وكانت أخيرًا قلوبنا المأخوذة بما نسمع ونرى مُفعمَةً فرحًا وغبطةً، يقودها المنظور إلى اللَّامنظور: «هذه الخيرات التي لم تَرها عين، ولم تسمع بها أُذن، ولم تَخطر على قلب بشرٍ» (١كورنثوس ٢:٩). إنَّ أفراح يوم الرَّاحة هذا تُقدِّم لنا عنها مثالًا؛ لقد كانت عربون رجائنا الفائق الوصف في المصير المرتقَب.

بما أنَّ هذه الليلة المتلألئة بالنُّور، التي جمعت بين بريق المشاعل وأشعة الشمس الأولى، ألَّفت معها يومًا واحدًا، دون أن تفسح مجالا **للظلام**، فلنتأمل، يا إخوتي، النبوءة القائلة: «هوذا اليوم الذي صَنَعَه الرَّبّ» (مزمور ١١٧: ٢٤). إنَّها لا تَعرِض أيّ أمرٍ شاقّ أو صعب، بل **الفرح والسعادة والبهجة**، لأنها تضيف: «فلنفرح ونبتهج به!». يا له من شاغل شيّق! ما ألطفه أمرًا! مَنْ يتردَّد في الطاعة لمثل هذه الأوامر؟ من لا يشعر **بضيم إذا تباطأ في تنفيذها**؟ المقصود أنْ نفرح، فنحن مأمورون بأنْ نبتهج، وبهذا مُحي **العقاب القاضي على الخطيئة**، وتحوَّل **حزننا** إلى **فرح**.

(**المسيح**) لا يقود مركبات **كبقية الملوك**، ولا يطلب جزية، ولا يطرد اناسًا، ولا يطلب حُرَّاسًا، إنما يسلك بوداعته العظيمة –

يتغنَّى بالصليب وبمآثره على **الإنسان** في شبه أنشودة جميلة:

الصليب أزال العداوة بين **الله والإنسان**، وجاء بالمصالحة.

جعل الأرض سماءً، وجمع الناس مع **الملائكة**.

هدَّم **حصون الموت**، وحطَّم **قوَّة الشِّرير**.

الصليب مسرَّة **الآب**، ومجد **الابن**، وتهليل **الرُّوح**، وفخر الرسول القائل: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (غل٦: ١٤). الصليب يفوق الشمس في معانيها، يخطف البصر أكثر من شعاعها، **لمَّا أظلمت الشمس** فليس هذا إلَّا لأنَّ الصليب سطع ببريقه فاضمحلت أمامه، ليس أنَّها انطفأت بل غُلِبَت أمام لمعانه. الصليب حطَّم **قيودنا**، وجعل **سجن الموت** كَلَا شيء. هو الحائط المنيع، ودرعٌ لا يُقهر.

الصليب فتح الفردوس، وأدخل اللِّص، وأوصل جنس البشر إلى ملكوت السموات بعدما اقترب من الهلاك وصار غير مستحقٍ ولا للأرض التي هبط إليها.

قد علمتم كيفية نصرته، فتأملوا الخير الذي عاد علينا دون أن نتكلَّف تَعَبًا ولا عَرَقًا. أيدينا **ملوَّثة بالدم** دون أن نشترك في الحرب، وبالرغم من ذلك فلنا نصيب في هذا الانتصار.

أنا أرى **الرَّبّ** يجاهد إلى أن فاز بالإكليل، وهوذا – يا لَلْعَجَبِ – فوق رؤوسنا. لذلك تمثَّلوا بالجنود الغالبين، هلِّلوا بالانتصار، أنشدوا تسابيح التمجيد للغالب. صيحوا بالصوت العالي: «الموت ابتُلِع إلى غلبة. يا موت أين نصرتك؟ ويا هاوية أين شوكتك؟» (هوشع ١٣: ١٤)!

القديس يوحنا الذهبي الفم

إنَّ موضوع **القيامة** هو موضوع مُتعدِّد الجوانب، إذ يختص بتحديدِ ما يجب أنْ نؤمن به، وما نُنَظِّم به أمور حياتنا الحاضرة. فحينما **لا** نُؤمن **بالقيامةِ تنقلب حياتنا رأسًا على عقب، وتمتلئ بمتاعب كثيرة جدًّا وتصير الى فوضى.** بينما الإيمان **بالقيامةِ** يدفعنا الى الأمام لأنها دليلُ عناية الله، وهي تجعلنا قادرين على أن نهتم بٱقتناء الفضيلة، وأن نُجاهد لكي نتجنَّب **الشَّرّ**، وأنْ يسود الهدوء والسَّلام في كل أمور حياتنا.

ومن **لا** ينتظر **القيامة العتيدة** في يوم الدينونة، وهناك سَيُعْطِي حسابًا عن أعماله التي صنعها على الأرض، مُتَصَوِّرًا أنَّ الإنسان **محصورٌ في الحدود الزمنيَّةِ للحياةِ الحاضرةِ فقط**، وأنَّهُ **لا** يوجد شيء بعد ٱنقضاء هذه الحياة الحاضرة، هذا الإنسان، لن يُبدي ٱهتمامًا **بالفضيلة**. إذ كيف يُبدي هذا الاهتمام طالما أنَّهُ لا ينتظر **أن يُعاقب عن شروره التي صنعها؟**، وهو بهذا الاعتقاد سَيُلْقِي بنفسِهِ **في شهواته غير اللآئقة، ويصير ذهنه مُلَوَّثًا بالخطيَّة.**

لكن من يؤمن بالدينونة الأخيرة وقضاء الله العادل، فإنه يضع نُصب عينيه ما يجب عليه أن يفعله حُكم الله المُنَزَّهُ عن الخطأ. وسيحاول أنْ يَسْلُكَ **بوداعة واستقامة حياة، ساعيًا نحو كل فضيلة**، متجنبًا **الفساد وعدم اللَّياقة وكل أشكال الخطيَّة الأُخرى.** أمَّا هؤلاء الذين يحتجُّون بشدَّةٍ موجِّهين **اللَّوم** لعناية الله، فإنَّ الله منذ الآن قادر أنْ يَسُدَّ أفواههم. بينما يرى بعضهم أنَّ الحُكماء والأبرار المكرمين هُمُ ٱلذين: بِصَبرٍ كبيرٍ، عانَوْا وهُدِّدُوا ووُشِيَ بهم حتى جَفَّت أجسادهم، ومرارًا تعرضوا لأمراض مخيفة دون أن يتمتعوا بأية حماية (من قِبل الله).

من ناحية أخرى، يَرَوْن أنَّ أناسًا ذوي **نفوس سوداء ، ملوَّثين ومملوئين من كُلِّ شَرٍّ**، غارقين في الغِنَى وفي مُتع الحياةِ لابسين ملابس زاهيَة يتبعهم خَدَمٌ كثيرون، فخورين بإعجاب الناس، مستمتعين بما لديهم من سلطة، وبما لهم من دالَّةٍ كبيرةٍ **عند الملك.** من يرى هذا، **يُنكر** عناية الله، ويتساءل: **هَلْ هٰذه** عناية الله؟ **هَلْ هٰذه** دينونة عادلة أنْ يحيا **العاقل الأمين وسط المتاعب**، بينما يحيا **الفاسق وسط الخيرات؟**. وهل يكون الواحد مَحَطَّ إعجاب بينما الآخر يُحتقر؟ الواحد يستمتع بمباهج كثيرة والآخر **يعاني المتاعب والمشقات؟** .

إنَّ مَنْ **لا** يؤمن **بالقيامة** لَنْ يستطيع أن يُعطي إجابة على هذه التساؤلات. بل يَبقَى صامتًا لا تَعْلِيقَ لديه. وعلى العكس من ذلك. من يتناول موضوع **القيامة بحكمة واهتمام**، سيكون مِنَ السَّهلِ عليه أنْ يواجه **التجديف**، ويقول لكل مَنْ **ثبطت** عزيمتهم من نحو هذه الأمور: كُفُّوا عن **توجيه الاتهامات** للهِ الذي خلقكم، لأنَّ أمور الإنسان لا تنحصر فقط في الحُدود الزمنيَّة للحياةِ الحاضرةِ، بل تمتدُّ الى حياة أخرى لا نهاية لها. ففي الدَّهر سينال من ٱحتمل وسلك بتقوى **جزائه** عن كل ما عاناه في هذه الحياة، بينما **سيُعاقب الفاسق والبائس على خطيئتِهِ وَمُتَعِهِ المُحَرَّمةِ التي اقترفها.**

ولهذا يجب ألَّا نُبْدِيَ آراءنا في عناية الله مكتفين بالنظر فقط للأمور الحاضرة، بل يجب أنْ نَنظُر أيضًا للمستقبل. لأنَّ الأمور الحاضرة هي **جهاد وسباق واختبار**، أمَّا الأمور المستقبليَّة فهي **مِنَح وأكاليل وجوائز**. وكما أنَّهُ يجب على لاعب القفز أن يبذل جُهدًا وعرقًا ومشقَّة ليكون جديرًا بالمنافسة، هكذا أيضًا الإنسان التَّقِيّ يجب عليه أن يتحلَّى بالصَّبرِ في مواجهةِ أمورٍ كثيرةٍ في هذا العالم، وأنْ يتحمَّل كُلّ شيء بشجاعة، لأنَّهُ ينتظر أنْ يُتوج ببهاء في الدهر الآتي. ونحن نرى **أنَّ اللصوص ونَابِشي القبور والقتلة والقراصنة في البحار**، يستمتعون بمباهج كثيرة على حساب الآخرين، بما يقتنونه **مِنْ غِنًى مُحَرَّم** .

غير أنَّهم يدفعون ثمن هٰذا غاليًا عندما يخضعون **لِحُكم القضاء.** هكذا فإنَّ كُلَّ ٱلذين يشترون **نساءً ساقطات** يقيمون **موائد سافيريَّة***. ويتفاخرون ويتباهون نابذين الفقراء، فعندما يأتي ابن الله الوحيد مع ملائكته ويجلس على العرش، **وأمامه تنكشف الأعمال**، سَيُؤْتَى بهم دون أن يكون لهم مَنْ يدافع عنهم.

*** ملحوظة: سيفاري كانت مستعمرة يونانية في شمال إيطاليا. وسكان هذه المستعمرة عاشوا حياة مترفة وقد صارت حياتهم أمثولة.**

لهذا لا نعتبرهم محظوظين بسبب حياتهم المترفة في هٰذا الدَّهرِ، ولكن فَلْنَبْكِ عليهم **لأجل العقاب** الذي ينتظرهم, ولا نحزن على الإنسان النقيّ التقيّ لاحتماله مشقات هذا العالم، بل يجب أنْ نُطَوِّبَهُ لِمَا ينتظره من خيرات الدَّهر الآتي.

عَمِّق في داخلك موضوع **القيامة**، فبهذا يمكنك أنْ تختبر حتى ولو

كنتَ **انسانًا صالحًا**، أنْ تصير أكثر عطاءً، مُكتَسِبًا ٱستعدادًا أكبر **بالرَّجاءِ**، أيضًا ٱختَبِر لو كنتَ **انسانًا شِرِّيرًا** أنْ تتجنَّب **الخطيَّة** وأنْ تجعل نفسك أكثر تَعَقُّلًا **بالخوفِ من العقابِ المنتظر**.

فبالرغم مِنْ أنَّ **بولس الرسول** يحدثنا بٱستمرار عن **القيامة** قائلًا: «لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ. فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضًا نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ.» (٢كو ٥: ١-٢)، إلَّا أنَّهُ مِنَ الأفضل لنا أن نرجع لما كتبه قبل هذه الآيات لنرى كيف انتهي الى موضوع **القيامة**. فهو لا يتناول موضوع **القيامة** حقًّا بدون هدف، لكنه **يسند المجاهدين من أجل التقوى**.

نحن الآن نتمتَّع بسلامٍ عظيمٍ، لأنَّ الملوك أيضًا يحبون التقوى، والرؤساء يعرفون الحقيقة جَيِّدًا، والشُّعوب وسكان المدن والأمم تخلَّصوا **من الضلال** والجميع عَرفوا **المسيح**. أمَّا في بداية الكرازة فَبِمُجَرَّدِ أنْ ٱستعلن سِرُّ التقوى، ٱشْتَدَّتِ ٱلحروب وَكَثُرَتِ ٱلنزاعات وتنوعت، لأنَّ **الرُّؤساءَ والملوكَ وأربابَ ٱلبيوت جميعهم حاربوا المؤمنين، حتى الأقارب بالجسد شاركوا في اضطهادهم** لأنَّهُ كان يحدث أنْ **يُسَلِّم الأَبُ ٱبنه، والأم ٱبنتها، والعبدُ يسلِّم سيِّده**. لم تكن المدن والأقاليم فقط في المنازعات الداخلية لكن البيوت أيضًا، وكانت **القلاقل** التي تسود في أعقاب **الحروب الأهليَّة أمرًا مُخيفًا**.

فقد سُلبت الأموال وٱنْتُهِكَتِ ٱلحرِّيات، بل كانت حياة البشر نَفْسَهَا **مُهدَّدةً بالأخطار**، لا مِنْ خلال **هجماتِ وشرورِ البَرْبَرِ** فقط، ولكن بسبب الَّذين كانوا **يحكمون ويقودون** الشعب، لأنَّهم تعاملوا مع رعاياهم معاملة **أسوأ من معاملة الأعداء**.

وهذا ما أعلنه **بولس الرسول** قائلًا: «وَلكِنْ تَذَكَّرُوا الأَيَّامَ السَّالِفَةَ الَّتِي فِيهَا بَعْدَمَا أُنِرْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلاَمٍ كَثِيرَةٍ. مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ وَضِيقَاتٍ، وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تُصُرِّفَ فِيهِمْ هكَذَا. لأَنَّكُمْ رَثَيْتُمْ لِقُيُودِي أَيْضًا، وَقَبِلْتُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ، عَالِمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالاً أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبَاقِيًا.» (عب ١٠: ٣٢-٣٤). **وللغلاطيين** يقول: «أَهذَا الْمِقْدَارَ ٱحْتَمَلْتُمْ عَبَثًا؟ إِنْ كَانَ عَبَثًا!» (غل٣: ٤)، وأيضًا إلى أهل **تسالونيكي** وإلى أهل **فيلبي** وبشكلٍ عام الى كُلِّ من تلقَّوْا رسائله، يشهد فيها عن أمور كثيرة مثل هٰذه.

إنَّ **حربًا شديدةً بلا توقف** قد بدأت تتحرَّك من خارج، لم تكن فقط هي الأمر المخيف، لكن حدث أن صارت **عثرات ونزاعات ومشاحنات وغيرة حاقدة ضدّ ٱلمؤمنين**. وهذا بالضبط ما أعلنه **بولس الرسول** قائلًا: «مِنْ خَارِجٍ خُصُومَاتٌ، مِنْ دَاخِلٍ مَخَاوِفُ.» (٢كو ٧: ٥).

هذه الحرب كانت **أكثر رُعبًا من أيِّ حربٍ أُخرى** ضِدَّ ٱلرَّعِيَّةِ والرُّعاة. إذنْ **فبولسُ** لم يَخَفْ من **سهام الأعداء**، بل مصدر خوفه كان **السُّقوط في العثراتِ** التي من داخل، والتي تأتي **من الأقارب**.

على سبيل المثال: عند **سقوط واحد من أهل كورنثوس في خطيَّة الزِّنَى** فإنَّ **بولسَ** قد قضى وقتًا حزينًا وأحشاؤُهُ مُمَزَّقَةٌ بسبب هذا الأمر. لأنَّ هذه الأمور الروحيَّة بطبيعتها تتطلب **مشقةً وجهاداتٍ كثيرةً**. لأنَّ الطريق الذي سار فيه **الرسل** لم يكن طريقًا سهلًا وَهَيِّنًا، لكنه كان غيرَ مستوٍ وغيرَ مُمَهَّدٍ، يتطلب نَفْسًا ساهرة متيقظة من كل الجوانب. لهذا **دعا المسيح** هذا الطريق **ضَيِّقٌ وَكَرِبٌ**. وكان **المؤمنون** يحيون خاضعين لاصوات ضمائرهم وليس كما كان يحدث **مع الوثنيين** الذين كانوا يعيشون **في زِنىً وسكر وَنَهَمٍ وَمُتَعٍ وغنى فاحش**. أيضًا كان عليهم أن يَقْمَعُوا **الغضب** وأن يُسَيْطِرُوا على **شَهواتهم الرَّديئةِ** وأنْ يحتقروا المال وأن يدوسوا **المجد الباطل**. ونحن نعلم كَمْ من الجُهْدِ والتَّعب تتطلبه هذه الأمور. وهذا يعرفه كُلّ من **يُجاهد يوميًّا**. وهل هناك ما هو أكثر رُعبًا **من الشهوة الرديئة**، فهي مثل **حيوان مسعور** يهاجمنا بٱستمرار ولا يتركنا في هدوء ويحتاج على الدوام الى **نفسٍ يَقِظَةٍ**.

لأنَّهُ وإنْ كانَ أَمرًا مقبولًا أن يدافع الإنسان عن نفسه ضِدَّ كُلِّ مَنْ ظَلَمَهُ، إلَّا أنَّ هٰذا لم يكن سهلًا حينذاك، وهذا ما يدعوني إلى التساؤل: أَلَا يُسمَحُ لإنسان أن يدافع عن نفسه ضِدَّ **كُلِّ مَنْ ظَلَمَهُ؟**.

كان يجب على الإنسان أن يفعل الخير تُجاه كُلّ مَنْ أحزنَهُ، وأَنْ يُبارك كُلَّ مَنْ يُسيءَ إليه، وألَّا يُخْرِجَ كلمة مُرَّة مِنْ فَمِهِ، ولا يَجْرَحَ أحدًا البَتَّةَ. وكان عليه أيضًا أنْ يُظْهِرَ وداعةً ليس فقط من جهة الأعمال، لكن أيضًا **يُظْهِرَ نقاوةَ الفكر**. لأنَّهُ يجب على الإنسان أنْ يبتعد عن **عمل الفجور**، مثل ما يبتعد عن مجرد رؤية هذه الأمور، وألَّا ينشغل بالنظر الى النساء الحسناوات. لأنه بهذا يُعرض نفسه **للعقاب في الدينونة الأخيرة**.

ونظرًا لأنَّ **الحربَ كانت شديدة من الخارج، والمخاوف شديدة من الداخل**، كان على الإنسان أن يبذل جُهدًا كبيرًا لأجل **الفضيلة**. إلَّا أنَّ ما يجب الالتفات إليه، هو عدم خبرة هؤلاء الذين قرَّروا **أنْ يجاهدوا هذا الجهاد العظيم**، لأنَّ **الرُّسل** لم يكرزوا لأناس وارثين التقوى من أجدادهم، لكن انتشلوهم **من الخمول والضعف والسُّكر والزِّنَى والفجور مهذبين إياهم**.

لذلك لم تكن جهاداتهم بالأمر الهَيِّن، لأنَّهم لم يَشُبُّوا مهذَّبين من قِبَلِ آبائهم على هذا المنهج الجديد للحياة، ولهذا فإنَّهم يجوزون **صعوبة هذه الجهادات** لأوَّل مَرَّة. ونظرًا لأن الصعوبات كانت كثيرة فإنَّ موضوع **القيامة** كان هو **العزاء الدائم لقبول هذه الآلام**. لهذا لم يكتفِ **القديس بولس** بالحديث عن **القيامة** وَقُوَّتِهَا، لكنه كان أيضًا يكلمهم عن **آلامه الخاصة**.

ولهذا السبب قبل أن ينتهي الى الكلام المتعلِّق بموضوع **القيامة** (الذي أشرنا إليه في ٢كو٥: ١-٢) نجده أيضًا يتحدث عن **آلامه الخاصة** قائلًا: «مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ.» (٢كو٤: ٨-٩). بهذه الأمور أعلن أنَّنَا كأمواتٍ نُسلَّم للموتِ كُلَّ يوم. ولم يكتفِ **القديس بولس** بالحديثِ عن هٰذا فقط، بل عندما كانت تأتي مناسبة للحديثِ **عن آلامه** كان يعود مرَّةً أُخرى

لموضوع **القيامة**. « عَالِمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ. لأَنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَكُونَ النِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِالأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللهِ. لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.» (٢كو٤: ١٤-١٦). ولهذا لم يقل لهم **لا تخضعوا للشَّرِّ**، ولكن ماذا قال؟ **لذلك لا نفشل**، مُبَيِّنًا أَنَّهُ هو نفسه كان في **جهادات مستمرة** .

وعلى سبيل المثال: نجد أَنَّهُ في الألعاب الأوليمبيَّةِ بينما يقوم الرِّياضي بمنافسة خَصْمِهِ داخل الملعب، يجلس المدرب خارجًا لِيُوَجِّهَهُ بإرشاداتِهِ، وعلى قدر التوجيهِ تَعظُم المساندة. أمَّا أنْ يساعده عن قُرب من داخل الملعب، فهذا ما لا يَسْمَحُ به أيّ قانون. لكن فيما يختص **بجهادات التَّقوى** فالأمر مختلف، **فالقديس بولس** هو نفسه **المُدَرِّبُ واللَّاعب معًا**، وهكذا لا يجلس خارج الملعب، لكنه يشارك في نفس المباريات، وَيَعِدُ من يجاهدون معه قائلًا : «لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ» ولم يقل **لا أفشل**.

وهو يريد بهذا أنْ يُقَوِّمَ أعوِجَاجَهُمْ. «بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.». لاحظ كيف يَصيغُ **الرسول بولس** حديثه : يَعِظُهُم مِنْ نَحْوِ كُلِّ ما عانوه قائلًا : «مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ»، ويَعِظُهُم من نَحْوِ **قيامة المسيح** بقوله: «الَّذِي أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا»، ثم بعد ذلك يبدأ في الحديث عن أسلوب آخر **للعزاء**. فنحن نَجِدُ أنَّ أغلبَ الناس هُم مِنْ صغار النفوس واهنين وضعفاء، وعلى الرغم من أنَّهم **مؤمنون بالقيامة** فإنهم يفقدون **رجاءهم** بسبب **طول الزمن الحاضر**، ولذلك **يَتشتَّت** ذهنهم، **فيتراجعون** عن ثقتهم في **القيامة** . لهؤلاء يُعطي **الرسول بولس** أجرًا ومكافأةً أخرى، **ما هي؟**. «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.» إنسان الخارج **يُسمى الجسد** وإنسان الداخل **يُسمى النفس**.

وهذا يعني إنَّهُ مِنَ الآن، وقبل **القيامة**، وقبل التَّمتع بخيراتِ الدَّهرِ الآتي، فإنَّ مكافأة هٰذه الأتعاب ليست بالمُتَعِ القليلة حيث **تَتجدَّد النَّفسُ في وسط الضِّيقِ، وتكتسب صَبرًا أكثر وتصير أقوى وأكثر إشراقًا**.

إنَّ مَنْ يُحقِّقُون أرقامًا قياسِيَّةً في الرِّياضَةِ الجسديَّةِ، نَجِدُ أنَّهم قبل التتويج وقبل الجوائز يحصلون على رِضَا وقناعةٍ داخليَّةٍ، وبهذا تكون أجسادهم بواسطة التَرَيُّض والمنافسة أَصَحَّ وَأَقْوَى ومتجنبين كل مرضٍ. **(يَتَرَيَّضُ اللَّاعِبُ: يَقُومُ بِتَمَارِينَ رِيَاضِيَّةٍ)**. هكذا أيضًا في **الجهادات من أجل الفضيلة**، فقبل **أن تنفتح السماء** وقبل أنْ **يُستعلن ابن الله**، وقبل أنْ **ننال الأكاليل**، ستكون المكافأة من الآن كبيرة بأنْ **تصير نفوسنا أكثر يقظة وأكثر حكمة**.

وهؤلاء الذين يَشقُّون البِحار مرَّاتٍ كثيرة ويواجهون أمواجًا عاتية، ووحوشًا ضارية، ويعانون مرَّاتٍ كثيرة من سوء الأحوال المناخيَّةِ، فإنَّهم وحتى قبل الفوز المادي يحصلون على متعة تلك الرحلة البعيدة والتي هي ليست بقليلة .

أي أنَّهم لا يُبالون بالأمواج دون **أي خوف**، بل **بسعادةٍ غامرةٍ** يشقُّون فِي عَرْضِ الْبَحْرِ ذاهبين الى أقصى حَدٍّ لتحقيق مقصدهم. هكذا يحدث أيضًا في هذه الحياة الحاضرة أنَّ كُلَّ **من عانى ضيقات كثيرة من أجل المسيح**، كُلَّ من لاقى **عذابات متنوعة**، **سينال مكافأة كبيرة** حتى قبل التَّمتُّع بخيرات الدَّهر الآتي. لأنَّهُ اكتسب مِنَ الآن دالةً أمام **الله**، وجعل نفسه ترتفع الى أعلى وتتحدَّى المشقات. ولكي يكون ما أقوله أوضح فإنِّي أجعله جليًا من خلال المثل الآتي:

عانى **القديس بولس** نفسه آلامًا كثيرة جدًا، **وأخذ مكافآت عديدة** وهو في الجسد، **مستهزئًا بالمشقات مواجهًا بثبات هوس الرَّعاع ، مستهينًا بكل الآلام، أمام وحوش وسلاسل وأمواج وأحزان وهجمات وسهام في كل هذه المتاعب**، لم يكن يخاف من أيِّ شيءٍ. **مَنْ يستطيع أن يُضَاهِيهِ ؟**

إنَّ الإنسان غير المُدَرَّب الَّذي لم يتعرَّض **للمصاعب**، مِنَ الطبيعي أنْ يرتبك مِنْ قِبَلِ الصعوبات العادِيَّة، ليس فقط مِمَّا هو حادثٌ، لكن أيضًا لِمَا هو متوقعٌ، أو كما يُقال: «**إنه يخاف من ظِلِّه**». لكن كُلّ مَنْ دَخَلَ في أعمالٍ صعبةٍ وفي منافساتٍ وتعرَّض **لمتاعبٍ**، فإنَّهُ مِنَ الطبيعي أنْ يرتفع فوق **كُلّ الصعوبات**، ويسخرَ من كُلِّ **ما يُهدِّده**، مثل طائر يطير ويصيح صيحة النُّصْرَة. ولأنه يجاهد للحصول على هٰذا الإكليل العظيم، لذلك فإنَّ أيَّ ألَمٍ يتعرَّض له **أثناء جهاده**، لنْ يكون عِبْئًا عليه. لهٰذا فإنَّ هذا الألم لا يستطيع أنْ يُحزنه. هٰذه الأمور عندما تحدث للآخرين فهي تُزعجهم، أمَّا بالنِّسبَةِ له فهي لا تعني شيئًا. وإنْ كانت هٰذه الآلام سبب توتر وارتباك لهم، فهي له موضع استهانة واستهزاء.

فهو يرتفع بنفسه بقوَّةِ الصَّبْرِ الكثير الى تلك الرُّؤْيَةِ المستنيرة التي **للقوات الملائكيَّة**. فَلَوْ أنَّنَا نُطَوِّبَ الجسد الذي يتحمَّل بلا تَذَمُّرٍ البردَ والحَرَّ الشَّديدَيْنِ، والجوع والعَوَزَ ومشقة الطريق ومتاعب أخرى، فالأَوْلَى يجب تَطويب النَّفْسِ التي تستطيع **بصبرٍ واحتمالٍ وأمانةٍ**، أنْ تواجه **كُلّ المشقات والمتاعب**.

ومِنْ خلال هٰذا، تستطيع هٰذه النَّفْسُ أنْ تحفظ فكرها حُرًّا نَقِيًّا. ومَنْ يفعل هٰذا، هو **يفوق الملوك أنفسهم**. لأنَّهُ بالنسبة **للملك** يمكن أن يُصاب **بضررٍ** سواء من الحَرَسِ الخَّاصِ أو من الأصدقاء أو مِنَ الأعداءِ سِرًّا كان أمْ عَلَنًا. أمَّا مَنْ يملك نَفْسًا حُرَّةً وَنَقِيَّةً، فلا **مَلِكٌ ولا حَرَسٌ خاصٌ ولا خادمٌ ولا صديقٌ ولا عَدُوٌّ ولا حتى الشَّيطان نفسه يستطيع أن يوقع به شرًّا**. كيف لا يكون في مأمن مِنْ كُلِّ الضَربات، وهو الَّذي اعتاد ألَّا يُبالِيَ بشيءٍ من المَصاعِبِ الَّتي اعتاد غيره أنْ يعدُّها **أسوأ البلايا واشدها هَوْلًا؟**.

كان **المُطَوَّب بولس** من هذا النوع من الناس ولهذا قال: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا

يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رو٨: ٣٥-٣٧). وهذا ما يعنيه هنا بالضَّبط: «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.». أمَّا الجسد فضعيف وأمَّا الرُّوح فقويّ وأكثر قوَّة وأكثر حُرِّيَّة. فالجندي المُصاب بمرضٍ ثقيلٍ جدًّا، حتى ولو كان جسورًا وقادرًا في الحربِ لا يُمثِّل لأعدائهِ أيَّ آنزعاج، لأنَّ ثِقَلَ المرض سيشكِّل عائِقًا في حُرِّيَّةِ حركتِهِ. هكذا فَكُلُّ مَنْ يجعل جسده **أَخَفَّ بالأصوام والصلوات والصَّبر الكثير على الضيقات**، يَكُنْ مثل طائر يحلق من أعلى **وبآندفاعَةٍ قَوِيَّةٍ ينحدر ويغور على صفوف الشياطين وينتصر بسهولة على كُلّ القوات المضادة ويُخضعها**. نفس الأمر حدث **لبولس** تلقَّى ضربات كثيرة أُلقِيَ في السجن رُبط في آلةٍ مِنْ خَشَبٍ (**هي أداة خشبية كانت تُربط بها أرجل المتهمين فلا يستطيعون أن يحركوها أبدًا**.)، جسده كان ضعيفًا جدًّا، مُنْهَكًا من المتاعب الكثيرة، لكن نفسه كانت قويَّةً ومُشْرِقَةً. هذا المُقيَّد كان قويًّا جدًّا، وبصوته فقط كانَ يُزعزِع أساسات السِّجن، ويُحضر أمام قدميه حارس السجن المرتعب والأبواب المغلقة تُفتح. إذنْ **فالرسول بولس** يُعطينا بهذا تعزيَةً غير قليلة **قبل القيامة**، إنَّنا نستطيع أنْ نَصيرَ أفضل وبفكرٍ أكثر آستنارة حتى **داخل التجارب** ولهذا يقول: «الضِّيقُ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي» (رو٥: ٤-٥)، ويقول **قديسٌ** آخر: (**إنسان لم يمر بتجربة هو غير مختبر وغير المختبر غير مستحق أبدًا للكلمة**).

فمن **الضيقة** نُثمر الكثير ويكون لدينا نَفْسٌ مُختبرة، وأكثر حكمة وأعمق فهمًا، وبهذا نتخلَّص من كل حِيرة. لهذا يقول : «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.».

أخبرني كيف يتجدَّد؟

يُطرَح الخوف خارجًا، تُخمَد الشَّهوة الرَّديئة وتتلاشى محبة المال والمجد الباطل وكل الأفكار الأخرى الفاسدة. أمَّا النَّفْسُ الَّتي لا تُثمر ولا تَعمل، **فَتُسَيْطِرُ عليها الشَّهوات بسهولة**. هٰكذا فإنَّ النَّفْسَ الَّتي تنشغل بالجِهادِ من أجل **الفضيلة** بلا انقطاع، ليس لديها وقت للتفكير في **هٰذه الشهوات**، حيث إنَّ الاهتمام بالجِّهادات المُستَمِرَّة يُبعدُ النَّفْسَ عن كل **هٰذه الشَّهوات**.

ولهذا قال: «فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.». ثُمَّ بعد ذلك يُعزِّي أيضًا النُّفوس الَّتي تتألَّم بسبب المتاعب المنتظرة، ولا تعرف أنْ تَتَقبَّل هٰذه المتاعب بحكمةٍ، فهو يُوجِّه نظرهم للرَّجاءِ نَحْوَ ٱلأبديَّةِ قائلًا : «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.» (٢كو ٤: ١٧-١٨). وحديثه هذا يحمل المعنى الآتي: أنَّ **الضيقة** تُفيد أنْفُسَنا جِدًّا وتجعلها أكثر حكمة، وأشد وَعْيًا، ثُمَّ تكون سَبَبًا لنصيبٍ عظيمٍ مِنَ الصلاحِ في الدَّهرِ الآتي ليس كمقابل للأتعاب، بل **كمكافأة للجهاد الرُّوحيّ الكثير والَّذي من كُلّ القَلْبِ**.

إنَّ هٰذين الأمرَيْنِ يُظهرهُمَا **بولس**، ويُقارن بين **كثرة الأخطار** وبين **امتياز المكافأة**. ويقابل بين **ٱلْوَقْتِيِّ وَٱلأَبَدِيِّ**، بين ٱلْهَيِّنِ والصَّعبِ، بين **الضِّيقَةِ والمَجْدِ**. لأنَّهُ كما يقول من ناحيةٍ، هناك **الضِّيقةُ** وهيَ وقتيَّة وخفيفة، ومن ناحية أُخرى هناك **المَجْد** وهو يفوقُ كثيرًا الرَّاحة، بل هو **أبدي ومستمر وعظيم**. وهو لا يعني بالثِّقَلِ هنا شيءٌ يَثْقُلُ حملُهُ، ولكنه يعني شيئًا عظيمًا عالي القيمة جِدًّا . ووفق عادة الكثيرين فإنَّهم يدعون كل ما هو ثقيل **بالشَّيءِ القَيِّمِ الفَخْمِ**. إذنْ بال «ثِقَلَ مَجْدٍ» (٢كو ٤: ١٧) يعني **مجدًا فائقًا**.

هكذا يقول لا تحتسب لهذا فقط، أنَّكَ **تُضطهد وتُجلَد**، لكن آنظُر الى الأكاليل والمكافآت لأنَّها تفوق الأمور الحاضرة وأكثر إشراقًا منها، فأمور الدَّهر الآتي ليس لها نهاية.

لكن ربما تقول إنَّ أمور العالم الحاضر **نراها**، وأمور الدَّهر الآتي **نترجاها**، وأنَّ أمور العالم الحاضر هي **واضحة**، وأما أمور الدهر الآتي هي **غير ظاهرة**. لكن على الرغم من أنَّها غير ظاهرة، فهي أكثر وضوحًا من الأمور الظاهرة، ماذا أعنى بقولي أكثر وضوحًا؟ أمور الدَّهر التي نستطيع أنْ نراها أكثر من أمور هذا العالم ، لأنَّ أمور هذا العالم هي **وقتية**، أما أمور الدهر الآتي فهي **أبدية**. «وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.» (٢كو ٤ : ١٨).

العظة الثانية عن قيامة الاجساد – صفحة ١٤

✻ جاء في إحدى عظات **القديس بوليكاربوس أسقف أزمير** (القرن الثاني) عن الإيمان بقيامة **المسيح** ونتيجته على حياة المؤمن وسلوكه:

.. شُدُّوا أحقاءكم واتقّوا **الله** بالمخافةِ والحقِّ طارحين جانبًا **كلام الثرثرة الفارغ وضلال الأمم**، موطِّدين الإيمان على من أقام **ربَّنا من الموت**، وآتاه المجد، وأعطاه عرشًا عن يمينه. «**له يخضع كل ما في السماء وعلى الأرض**» ويعطيه كُلَّ من فيه نسمة حياة. وعندما يأتي «**ليدين الأحياء والأموات**» سيُقاضي عن دَمِهِ كُلَّ **من رفض** الإيمان به.

«والذي أقامه من الموتِ» سيُقيمنا معه أيضًا إنْ آمتثلنا لمشيئته، وَسِرْنَا على طريق وصاياه، وأحببْنَا ما يُحِبُّ، وتركنا **كل إساءة وطمع ونميمة وشهادة زور، وعن حُبّ المال المفرط** متجنبين مجابهة شَرٍّ بِشَرّ، وشتيمة بشتيمة، وضربة بضربة، ولعنة بلعنة، ذاكرين تعليم من قال: «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا» (مت ٧: ١)، «اغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ.» (لو٦: ٣٧)، أرحموا تُرحموا، «بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ» (مر٤: ٢٤)، «طوبى للمساكين وللمضطَهدين من اجل البرّ فإن لهم ملكوت الله».

القديس بوليكاربوس أسقف أزمير

نشأته:

هو **يوحنا الملقب مرقس** الذي تَرَدَّدَ اسمه كثيرًا في سفر الأعمال والرسائل. حمل اسمين: **يوحنا** وهو اسم عبري يعني «يهوه حنان»، **ومرقس** اسم روماني يعني «**مطرقة**».

وُلِدَ **القديس مرقس في القيروان (قورينا) إحدى المدن الخمس الغربيَّة بليبيا، في بلدة تُدعى ابرياتولس**، من أبوين يهوديين من سبط لاوي، اسم والده **أرسطوبولس**، ووالدته **مريم** امرأة تقيَّة، لها اعتبارها بين المسيحيين الأوَّلين في أورشليم. فإن **الرسول بطرس** لما أُطلق من السجن بواسطة **الملاك**، ذهب إلى بيتها: «ثُمَّ جَاءَ وَهُوَ مُنْتَبِهٌ إِلَى بَيْتِ مَرْيَمَ أُمِّ يُوحَنَّا الْمُلَقَّبِ مَرْقُسَ، حَيْثُ كَانَ كَثِيرُونَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ.» (أع ١٢: ١٢). (يُوحَنَّا الْمُلَقَّبِ مَرْقُسَ للتميز بينه وبين **يوحنا الحبيب** الإنجيليّ.)

المُدن الخمس: المدن الخمس البنتابولس «Pentapolis» من الكلمة اليونانية: (بنتا) وتعني خمسة و(بوليس) وتعني مدينة أو المدينة الدولة. وهي مدن أسَّسها الإغريق (اليونان) بداية من القرن السابع قبل الميلاد في إقليم قورينائية بشرق ليبيا لتكون **مركزًا للحضارة الإغريقية في أفريقيا**. كما اشتهرت بتصدير نبات السيلفيوم النادر. والمدن هي:

١) **قورينا**، (شحات الحالية).
٢) **أبولونيا**، وتوجد في موقعها مدينة سوسة الحالية.
٣) **يوسبريديس**، (بنغازي الحالية).
٤) **توخيرا**، وتوجد في موقعها مدينة توكرة حاليًا.
٥) **برقه** (المرج القديمة حاليًا).

تَعَلَّمَ اليونانية واللاتينية والعبرية وأتقنها، والآراميَّة أيضًا .

وعندما هجمت بعض **قبائل البربر** على أملاكهم تركوا **القيروان إلى فلسطين وطنهم الأصلي وسكنوا بأورشليم**. نشأ في أسرة متدينة كانت من أقدم الأسر إيمانًا بالمسيحِيَّةِ وخدمة لها.

علاقته بالسَّيِّدِ المسيح:

حَظِيَ مع والدته **مريم بأتباع** السيِّد **المسيح**، فقد كانت من النساء اللواتي خدمن **السَّيِّد** من أموالهنَّ، كما كان لكثير من أفراد الأسرة صلة بالسيِّد **المسيح**. كان **مرقس** يمت بصلة القرابة **للرسول بطرس** إذ كان والده ابن عم زوجة **القديس بطرس الرسول** أو ابن عمتها. ويمت بصلة قرابة **لبرنابا الرسول** بكونه ابن أخته ، أو ابن عمه.«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَرِسْتَرْخُسُ الْمَأْسُورُ مَعِي، وَمَرْقُسُ ابْنُ أُخْتِ بَرْنَابَا، الَّذِي أَخَذْتُمْ لأَجْلِهِ وَصَايَا. إِنْ أَتَى إِلَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ.» (كولُسي ٤: ١٠).

فتحت أُمُّهُ بيتها ليأكل **الفصح** مع **تلاميذه** في العليَّةِ، فصار من البيوت الشهيرة في تاريخ المسيحيَّة المُبكِّر. وهناك غسل **الرَّبّ** يسوع أقدام **التلاميذ**، وسلمهم **سِرّ الإفخارستيَّا**، فصارت أوَّل كنيسة مسيحيَّة في العالم دشَّنها **السَّيِّد بنفسهِ** بحلولِهِ فيها وممارستِهِ سرَّ الإفخارستيَّا. وفي نفس العُليَّة كان يجتمع **التلاميذ** بعد القيامة وفيها حَلَّ **الرُّوح القُدُس** على **التلاميذ** (أع٢: ١-٤)، وفيها كانوا يجتمعون. وعلى هذا فقد كان بيت **مرقس** هو أول كنيسة مسيحيَّة في العالم اجتمع فيها المسيحيُّون في زمان **الرسل** (أع ١٢: ١٢).

أمَّا **هو** فرأى السيِّد **المسيح** وجالسه وعاش معه، لذا لقبته الكنيسة: «**ناظر الإله**».

كان **القديس مرقس** أحد **السبعين رسولًا** الذين اختارهم **السَّيِّد** للخدمة، وقد شهد بذلك العلامة أوريجينوس **والقديس أبيفانيوس**.

ويذكر التقليد أنَّ **القديس مرقس** كان حاضرًا مع **السَّيِّد** في عرس قانا الجليل، **وهو الشَّاب** الذي كان حاملًا الجرَّة عندما التقى به **التلميذان بُطرس ويوحنا** لِيُعِدَّا الفصح **للسَّيِّد** (مر١٤: ١٣-١٤؛ لو ٢٢: ١١). وهو أيضًا **الشَّاب** الذي قيل عنه أنه تَبِعَ **المخلِّص** وكان لابسًا إزارًا على عُرْيِهِ فأمسكوه، فترك الإزار وهرب منهم عُريانًا (مر١٤: ٥١-٥٢). هذه القصة التي لم تَرِدْ سوى في إنجيل مرقس مما يدل على أنَّها حدثت معه.

كرازته:

بدأ **القديس مرقس** خدمته مع **القديس بطرس الرسول في أورشليم واليهوديَّة**. يسجل لنا سِفْرُ أعمال الرسل أنَّهُ انطلق مع **الرسولَيْنِ بولس وبرنابا** في الرحلة التبشيريَّةِ الأولى وكَرَزَ معهما في **إنطاكية وقبرص** ثم

في آسيا الصغرى. لكنه على ما يُظَنُّ أُصيب بمرض في برجة بمفيلية فاضطُر أن يعود إلى أورشليم ولم يكمل معهما الرحلة. عاد بعدها وتعاون مع القديس بولس الرسول في تأسيس بعض كنائس أوروبا وفي مقدمتها كنيسة روما.

إذ بدأ الرسول بولس رحلته التبشيريَّة الثانية أصَرَّ برنابا الرسول أن يأخذ مرقس، أمَّا بولس الرسول فرفض، حتى فارقَ أحدهما الآخر، فانطلق بولس ومعه سيلا، أما برنابا فأخذ مرقس وكرزا في قبرص (أع ١٣: ٤-٥)، وقد ذهب إلى قبرص مرَّةً ثانية بعد مَجْمَعِ أورشليم (أع ١٥: ٣٩).

اختفت شخصيَّة القديس مرقس في سفر الأعمال إذ سافر إلى مصر وأسَّس كنيسة الإسكندرية بعد أن ذهب أوَّلًا إلى موطن ميلاده «المدن الخمس» بليبيا، ومن هناك انطلق إلى الواحات ثم الصعيد ودخل الإسكندريَّة عام ٦٠ م. من بابها الشرقي. ويروي لنا التاريخ قصة قبول أنيانوس الإيمان المسيحي كأول مصري بالإسكندرية يقبل المسيحيَّة... فقد تَهَرَّأَ حذاء القديس مرقس من كثرة السير، وإذ ذهب به إلى الإسكافي أنيانوس لِيُصْلِحَهُ له، دخل المخراز في يده فصرخ: «يا الله الواحد»، فشفاه القديس مرقس باسم السَّيِّد المسيح وبدأ يحدثه عن الإله الواحد، فآمن هو وأهل بيته... وإذ انتشر الإيمان سريعًا بالإسكندريَّة رَسَمَ أنيانوس أُسقفًا ومعه ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة.

هاج الشعب الوثنيّ فاضطر القديس مرقس أن يترك الإسكندرية ليذهب إلى خمس المدن الغربيَّة (برقه بليبيا) ومنها إلى روما، حيث كانت له جهود تُذكر في أعمال الكرازة عاون بها الرسول بولس، لكنه ما لبث أن عاد إلى مصر ليتابع العمل العظيم الذي بدأه.

عاد إلى الإسكندرية عام ٦٥ م. ليجد الإيمان المسيحيّ قد ازدهر فقرَّر أن يزور المدن الخمس، وعاد ثانية إلى الإسكندرية ليستشهد هناك في منطقة بوكاليا.

وحدث بينما كان القديس مرقس يحتفل بعيد الفصح المجيد – واتفق ذلك اليوم مع عيد الإله الوثني سيرابيس – أن هجم الوثنيون على الكنيسة التي كان المؤمنون قد أنشأوها عند البحر، في المكان المعروف باسم بوكاليا أي دار البقر. ألقوا القبض على القديس مرقس وبدأوا يَسْحَلُونَهُ (يجرُّونه) في طرقات المدينة وهم يصيحون: «جرُّوا التنين في دار البقر». ومازالوا على هذا النحو حتى تناثر لحمه وزالت دماؤه، وفي المساء وضعوه في سجن مظلم، وفي منتصف تلك الليلة ظهر له السَّيِّد المسيح وقوَّاه ووعدَه بإكليل الجهاد. وفي اليوم التالي أعاد الوثنيون الكَرَّةَ حتى فاضت روحه وأسلمها بِيَدِ ٱلرَّبِّ، في آخر شهر أبريل نيسان (٢٥ نيسان سنة ٦٨ م.)، وإمعانًا في التنكيل بجسد القديس أضرم الوثنيون نارًا عظيمة ووضعوه عليها بقصد حَرْقِهِ، لكن أمطارًا غزيرة هطلت فأطفأت النار، ثُمَّ أخذ المؤمنون الجسد بإكرام جزيل وكفَّنوه.

وقد سرق بعض التجار من البُندقيَّة هذا الجسد سنة ٨٢٧ م. وبنوا عليه كنيسة في مدينتهم، تمَّ اهداء ذخائر القديس مرقس إلى البطريركيَّة الروميَّة الأرثوذكسيَّة في الإسكندريَّة.

يعتقد لبنان أنَّ القديس كرز فيه، هذا وقد كرز أيضًا بكولوسي (كو ٤: ١٠)، وقد اتخذته البندقيَّة شفيعًا لها، وأكويلًا من أعمال البندقيَّة.

نختم حديثنا عن كرازته بكلمات الرسول بولس في الرسالة إلى فليمون، يَذْكُرُهُ الرسول بولس في مقدمة العاملين معه (فل٤: ٢)، وفي الرسالة إلى كولوسي، يَذْكُرُهُ بين القلائل العاملين معه بملكوت الله بينما كان هو أسيرًا مدة أَسْرِهِ الأوَّل في روما. وفي أَسْرِهِ الثاني – بينما كان يستعد لخلع مسكنه (أي قبل رُقاده) – كتب إلى تيموثاوس يطلب إليه إرسال مرقس لأنه نافع له للخدمة. (٢تي ٤: ١١).

إنجيله: القديس مرقس هو كاتب الإنجيل الذي يحمل اسمه (أنجيل مرقس)، وهو الذي كتَبَ خدمة القداس المعروف حاليًا باسم القداس الكيرِلُّسي نسبة للقديس كيرلُّس رئيس أساقفة الإسكندرية، لأنَّ القديس كيرلُّس أضاف إلى هذه الخدمة بعض الصلوات الاضافيَّة.

إنشاء المدرسة اللاهوتية:

للقديس مرقس الرسول الفضل في إنشاء المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، تلك المدرسة التي ذاع صيتها في العالم المسيحيّ كلّه شرقًا وغربًا، وأسدت للمسيحيَّة خدمات جليلة بفضل علمائها وفلاسفتها الذين خرَّجتهم.

القديس مرقس والأسد:

يُرمز للقديس مرقس الإنجيليّ بالأسد، لذلك نجد أهل البندقيَّة وهم يستشفعون به جعلوا الأسد رمزًا لهم، وأقاموا أسدًا مُجنحًا في ساحة القديس مرقس بمدينتهم. ويعلل البعض هذا الرمز بالآتي:

أولًا: هناك إشارة واضحة لأربعة الحيوانات التي تمثِّل أربعة الأناجيل في نبوَّة حزقيال النبيّ : «أَمَّا شِبْهُ وُجُوهِهَا فَوَجْهُ إِنْسَانٍ وَوَجْهُ أَسَدٍ لِلْيَمِينِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ ثَوْرٍ مِنَ الشِّمَالِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ نَسْرٍ لأَرْبَعَتِهَا.» (حزقيال ١: ١٠).

ثانيًا: وإنجيل مرقس مهتم بإبراز قوَّة المسيح للرُّومان ولهذا يُرمز لانجيله بوجه الأسد، ولهذا بدأ إنجيله بعبارة: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ» (مر١: ٣).، وأيضًا قيل في سفر الرؤيا عن السيِّد أنَّه «الأسد الخارج من سبط يهوذا» (رؤ٥: ٥).

ثالثًا: يرى القديس أمبروسيوس أنَّ القديس مرقس بدأ إنجيله بإعلان سلطان ألوهيَّة السّيِّد المسيح : «بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ» (مر١: ١)، لذلك بحق يرمز له بالأسد.

رابعًا: الأسد يشير لقيامة السيِّد المسيح ويظهر ذلك في نبوَّة البطريرك يعقوب، عندما تَنَبَّأَ عن مصير يهوذا ابنه ونسله، الذي سيأتي منه المسيح حيث يقول: «يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟» (تكوين ٤٩: ٩).

بصلوات وشفاعات القديس مرقس الإنجيليّ ، أيُّها الرَّبُّ يسوع المسيح إلهنا، إرحمنا وخلصنا. آمين.

تتمة للعظة الأولَى ص ٨:

لو قلتَ كيف أستطيع أنْ أرى الأشياء الَّتي لا تُرى؟ سأحاول أنْ آتيَ بِكَ الى هٰذا الإيمان بواسطة أمور **هٰذه الحياة**. لأنَّهُ ولَا حتى **أمور هذا العالم الفاني** يستطيع الإنسان أنْ يتلامس معها بسهولة، إنْ لم يستطع أنْ **يرى غير المنظور** قبل أن **يرى المنظور**. على سبيل المثال فإنَّ قبطان السفينة يتحمَّل عواصف كثيرة وأمواجًا تأتي عليه ومصاعب أخرى كثيرة جِدًّا، لكن عندما يصل الى الميناء ويتصرف في هذه الأحمال ويبيعها، فإنه يتمتَّع **بالرِّبح المادِّيّ**. **الأمر الواضح كانت العواصف والأمر غير الواضح كان الرِّبح المادي**. فإنْ لم ينظر **أوَّلًا الى ما هو غير واضح** والذي ينتظره بالرَّجاء، لنْ يستطيع أن يتمتع بهذا **الرِّبح**، لو لَمْ **يحتمل هذه الأمور الحاضرة والظاهرة**.

هكذا أيضًا فإنَّ الفَلَّاحَ يَشْقَى ويحرث الأرض وَيُقَلِّبُهَا وَيُلْقِي البذور وينفق كل ما يملك ويصبر على البرد والصقيع والأمطار وعلى متاعب أخرى كثيرة، لكن بعد كل **هذا التعب** ينتظر أن يرى **ظهور السنابل وأن يملأ أجرانه بالقمح**. أرأيت إذن كيف يكون **التعب** أوَّلًا ثُمَّ بعد ذلك **المكافأة؟**.

من ناحية، فإن **المكافأة** هي أمرٌ **غير واضح**، بينما **التعب** هو **أمرٌ واضحٌ**، **المكافأة** توجد داخل الرَّجاء (في المستقبل) بينما **التعب** يوجد في **الحاضر**.

هكذا فإنَّ الفلَّاح إنْ لم يَتَطَلَّعَ الى **الأمور غير المنظورة**، فإنه ليس فقط سيترك حرث الأرض وإلقاء البذور، بل إنَّهُ **لن يغادر منزله بالمرَّة** لكي يعمل هذه الأمور.

كيف لا يكون إذن أمرٌ غيرَ معقول، أنَّهُ بينما في **أمور هذه الحياة** يستطيع الإنسان أن ينظر الى **الأمور المُحْتَجَبَة** قبل أن يرى **الأمور الظاهرة**. فإنَّهُ يصبر على **المتاعب ويتحمَّل كُلّ المَصاعِب السَّابقة**، ثم ينتظر الخيرات ويتلامس مع الأمور الظاهرة ناظرًا بالرَّجاءِ **للأمور غير الظاهرة**. بينما فيما يتعلَّق بالأمور المختصة **بالله يتردَّد ويشُكّ ويطلب المكافأة** قبل أن **يتعب**، ويظهر **صغير النفس**، ويتضح أنَّهُ أقلُّ مِنَ البحَّارة والفلَّاحين؟!

ليس في هذا فقط، لكن في أمرٍ آخر ستظهر أنَّكَ أسوأ من أولئك الذين **يحزنون لأجل المستقبل**. ما هو؟ إنَّ أولئك الذين ليس لديهم إيمان يقيني بالآخرة لا يُقْبِلُونَ **على التعب**. أمَّا أنتَ الَّذي لديكَ ضمانٌ أكيدٌ **للأكاليل**، فكيف لا تَتَمَثَّلُ بصبرِ هؤلاء البحَّارة والفلَّاحين واحتمالهم؟!

فعلى الرَّغْمِ مِنْ أنَّهُ في مرَّاتٍ كثيرة، عندما يبذر الفلاح أرضَهُ ويزرعها وهو ينتظر أنْ يرى سنابل وفيرة **يحدث العكس**، بأن تصيبَ حقله مثلًا أمطارٌ ثلجيَّة أو يتعرَّض لجرادٍ **ويخسر كُلَّ شيءٍ**، وبعد كُلّ هذا الجُهد يعود لبيته بِأَيْدٍ فارغة. والقبطان أيضًا عندما يشقّ البحار بسفينةٍ تنوءُ بِحمولتها، يحدث مرارًا أنْ تُهاجمه الرِّياح في مدخل الميناء ويرى السفينة **تصطدم بصخرة وتنكسر** ويُنجو هو وحده **مُجرَّدًا من كل شيء**.

بشكلٍ عام في أمور هذه الحياة، فقد تحدث **كوارث** ويتعطل الهدف. لكن في الجهاد الرُّوحي ليس الأمر هكذا لأنَّ مَنْ جاهد وبذر التقوى **وجاز متاعب كثيرة** سينجح في هدفه مهما يكن الأمر. لأن الله لا يعلِّق مكافآته على **تَقَلُّبَاتِ المناخ وضربات الرياح**، لأن هذه المكافآت تنتظرنا في أماكن الخيرات العتيدة التي لا تضمحل.

لذلك فإنَّ **الرسول بولس** يقول: « الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي» (رومية ٥:٣-٥). إذنْ لا تَقُلْ إنَّ **أمور الدهر الآتي غير ظاهرة**، لأنَّكَ لو قصدتَ أن تنظرها فهي أكثر وضوحًا من **الأمور الملموسة باليد**. وهذا بالضبط ما يوضحه لنا **الرسول بولس**، فهناك أمورٌ يُسَمِّيها **أَبَدِيَّةً**، وأخرى يسميها **وقتيَّة**، ويعني **بالوقتيَّة الأمور الباطلة** لأنَّ هذه الأمور غير ثابتة وتحولاتها فُجائيَّة واكتسابها أمرٌ غير مؤكد. ونعني بها **الغِنَى والمجد والسُّلطة الأرضيَّة والجمال الجسدي والقوة الماديَّة**، وبشكل عام **كُلّ أمور الحياة** التي نَظُنُّ أنَّ لها قيمة. ولهذا فإنَّ **عاموس النبي** يسخر من الذين يعيشون في المُتَع ويشتهون الأموال وكل بريق عالمي آخر إذ يقول: «إنهم يحسبون لبقائهم ولا يحسبون لرحيلهم » (عاموس ٦:٥ سبعينيّة). وكما أنَّكَ لا تستطيع أن تتحكَّم في **الظِّل** هكذا أمور **الحياة الحاضرة**. وهذه الأمور تُفقَد **بالموت** وتُفْقَدُ أيضًا **قبل الموت**، وتذهب أسرع من **التيارِ الجارف**.

بينما في أمور الأبديَّة ليس الأمر هكذا، لأنَّ الأمور الأبديَّة لا تَعرف تَغَيُّرًا ولا تَتعرَّض لِفُقْدَانٍ، ولا لشيخوخةٍ، ولا تَفْسُد ، لكن تظلُّ دائمًا **في آزدهار وإشراق وَسُمُوّ**.

فإن كان مِنَ الواجِبِ أنْ نتحدَّث عن بعض الأمور غير الواضحة وغير المؤكدة فإنَّنَا نَعْنِي بها **الأمور الحاضرة التي لا تبقى على حالها**، لكنها تتغيَّر من حين الى آخر، وتنتقل كل يوم من شخص الى شخص. هذه الأمور أوضحها لنا **الرسول بولس** ولهذا، **فأمور العالم الحاضر** سمَّاها **بالوقتيَّة**، وأمور الدهر الآتي **بالأَبَدِيَّة**.

ويتكلم **(بولس الرسول)** عن قيامة الأموات فيقول: «لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ.» (٢كو٥:١)؛ ولاحظ كيفيَّة آستخدامه للكلمات بدقة وَكَشْفِهِ لِقُوَّةِ معانيها. لأنَّهُ لا يكتفي بأنْ يدعو **الجسد بالخيمة**، لكنه أوضح لنا أنَّ **الحياة الحاضرة** هي **حياة وقتيَّة**، ثم بعد ذلك تأتي الحياة الفُضْلَى. فكأنه يقول: لماذا تبكي وتئن أيُّها المحبوب، لأنك **ضُربتَ واضْطُهِدْتَ وأُلقيتَ في السجنِ**؟ لماذا تتوجع بسبب بعض الإساءات، بينما من الواجب أن تقبل **انحلال الجسد**؟ أو بالأحرى **تلاشي الفساد الموجود في الجسد**.

وهو يُبَيِّن لنَّا أنَّ هذه الإساءات البسيطة هي أبعد مِنْ أنْ تُحزننا، بل على العكس يجب أنْ **تُفرحنا**، وأنَّ **الانحلال الكامل والأخير هو غاية أملنا**.

ويقول: «فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضًا نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ.» (٢كو٥:٢). وقبل كلامه هذا، عندما كان يتكلَّم عن **الجسد** قال : «نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ». بيت خيمتنا أي البيوت التي نسكن فيها والمدن التي نعيش بها أي شكل الحياة الحاضرة. وهو لم يقل فقط: لأنني أعلم، ولكن «لأَنَّنَا نَعْلَمُ»، لأنَّهُ يشعر بوحدته مع كل المؤمنين. وكأنه يقول لا أتكلَّم **عن الأمور المشكوك فيها ولا عن أمور مجهولة** ولكن عن الأمور التي تعلمتموها وآمنتم بها، إذ آمنتم **بقيامة الرَّبِّ**.

لذلك يُسَمِّي **أجساد الذين ماتوا خيمة**. لاحظوا مقدار الدِّقَّةِ في استخدام الكلمة، لم يقل **قُتل** أو **أُهلك** ولكن **نُقِضَ**، مُبَيِّنًا أنَّهُ **نُقِضَ** لكي يقوم بفرحٍ أكثر وإشراقٍ أكثر، كما قارنَ فيما بعد بين **المتاعب والمكافآت**، لاحظ **الزمان والكيفيَّة والمكان**. **فالجسد الذي ينحل** يسميه **خيمةً**، والجسد الذي يقوم يسميه **مسكنًا**، ليس فقط **مسكنًا** بل **أبديًا**، وليس فقط **أبديًا** بل **سماويًا**، مُبَيِّنًا امتياز الجسد من جهة الزمن ومن جهة المكان في **القيامة**. الواحد **أَرْضِي** والآخر **سَمَاوِيٌّ**، الواحد **وقتي** والآخر **أَبَدِيٌّ**. نحن الآن نحتاج الى جسد وبيوت بسبب الضعف الجسمي، أمَّا في الأبديَّة سيكون نفس الشيء، الجسد والمسكن، لكن بدون احتياج الى بيت، ولا حتى الى أغطية، حيث **الخلود** يغطي كل شيء.

ثم بعد ذلك يُبَيِّنُ الخيرات العتيدة التي تنتظرنا فيقول: «فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضًا نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ.» (٢كو٥:٢).

ولم يَقُلْ: أَنِنُّ، لكنه جعل الموقف مشتركًا، لأنه يُريد بذلك أنْ يجذبهم الى فِكْرِهِ ٱلمُستنير، وأن يجعلهم شُركاء في رؤيتِهِ. لم يَقُلْ فقط: **نَلْبَسَ**، ولكن: «نَلْبَسَ فَوْقَهَا»، وينتهي الى «وَإِنْ كُنَّا لاَبِسِينَ لاَ نُوجَدُ عُرَاةً.» (٢كو٥: ٣). ربما يبدو أنَّ ما قاله، فيه شيءٌ من عدم الوضوح، لكنه صار أَوْضَح فيما بعد عندما أضاف: «فَإِنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْخَيْمَةِ نَئِنُّ مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.» (٢كو٥:٤). أرأيت كيف أنَّهُ لا يُسَمِّيَ هذا الجسد **مسكنًا** بل **خيمةً**؟، ولا يقول **نَلْبَسَ مرَّة أخرى**، بل: «نَلْبَسَ فَوْقَهَا». وهنا استطاع أنْ يُوَجِّهَ ضربةً قاضيةً لأولئك الَّذين **يتكلمون بالسُّوء** على **الجسد**، فقد قال: «نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا»، لكي لا يعتقد أحدٌ أنَّهُ ينظر للجسد كشيء سَيِّئ. أو أنَّهُ يَعتبر **الجسد** شيئًا شائنًا أو عدوًا صريحًا. إسمع كيف يُصَحِّح هذه الشكوك.

فهو يفعل ذلك **أوَّلًا** بعبارة: «نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ.». وبالحقيقة مَنْ يَكْسُو شيئًا فإنَّهُ يضع فوقه شيئًا آخر، لذلك يضيف: « نَئِنُّ مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا». وهو بذلك يريد أنْ يقول: إنَّنَا لا نرفض **الجسد** بل نرفض **الفساد** الذي فيه، لا نرفض **الجسد** بل نرفض **الموت**. **الجسد** شيء **والموت** شيء آخر، **الجسد** شيء **والفساد** شيء آخر. **فلا الجسد هو فساد ولا الفساد هو جسد**. ومن المؤكَّدِ أنَّ **الجسد فانٍ**، لكن **الفناء** ليس هو **الجسد**، ومن المؤكَّدِ أيضًا: فإنَّ **الجسد مائت**، لكن **الموت** ليس هو **الجسد**. **الجسد خَلَقَهُ الله**، أمَّا **الموت والفساد** ليسا من اللهِ بل دخلا **بسبب الخطيَّة**.

إذن فهو يريد أن يقول: إنِّي أخلع ما هو غريب عَنِّي، **والغريب ليس هو الجسد، ولكن الفساد**، ولهذا يقول: «لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا » **(أي خيمة الجسد)** ولكن: «أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا». أي **نلبس عدم الفساد**. إذن نخلع **الفساد، ونلبس عدم الفساد**. فهو يريد أنْ **يَنْبُذَ** ما جاء **نتيجةً للخَطِيَّةِ**، وفي الوقت نفسه، يكتسب كُلّ ما أعطته النعمة **الإلهِيَّة**. ولكي نعلم أنَّ **الخلع** لا يقوله من **جهة الجسد** بل يقوله: **من جهة الفساد والموت**.

اسمع ما يقوله بعد ذلك مباشرة: « إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا»، ولم يَقُلْ: لكي يُبتلع الجسدي من اللاجسدي ، لكن ماذا يقول ؟: «لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.». لهذا فهو لا يتحدث عن **خلع الجسد** بل عن **خلع الموت والفساد**. فالحياة التي تأتي الى **الجسد** (بالقيامة)، لن تُبيد **الجسد**، بل **الفساد والموت** اللذين في **الجسد**.

إذنْ فالأنين ليس بسبب **الجسد** بل بسبب **الفساد** الموجود في **الجسد**. **فالجسد هو عبءٌ ثقيل** لا بسبب طبيعته ولكن بسبب **الفساد** الذي **دَخَلَهُ** فيما بعد. **والجسد بِحَدِّ ذاته لم يُجعَل للفساد** بل **لعدم الفساد**. وهو يحمل تلك الخاصِيَّة حتى حين صار قابلًا **للفساد**. ولذلك فإن ظِلَّ الرُّسل كان يطرد **القوات غير الجسدِيَّة**، **والملابس التي**

كانت تستر أجسادهم كانت تشفي المرضى وتُعيدهم أصحاء.

ملحوظة: هذا ما تؤمن به كنيستنا الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة (...لِأَنَّكَ لَمَّا جَبَلْتَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ تُرَابٍ قَدْ أَخَذْتَهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ، وَأَكْرَمْتَهُ بِصُورَتِكَ يَا أَللهُ، وَضَعْتَهُ فِي فِرْدَوْسِ ٱلنَّعِيمِ، وَوَعَدْتَهُ بِحَيَاةٍ خَالِدَةٍ لَا تَفْنَى... – خِدْمَةُ ٱلْقُدَّاسِ ٱلْإِلٰهِيِّ لِأَبِينَا ٱلْجَلِيلِ فِي ٱلْقِدِّيسِينَ بَاسِيلْيُوسَ ٱلْكَبِيرِ.).

لا تُحدِّثوني عن أمراض الجسد والأمور الأخرى التي يذكرها الذين يتكلمون **ضِدَّ الجسد**، لأنَّ كُلّ هذه الأمور لم تكن من **طبيعة الجسد** بل هي: **بسبب الفساد الذي دخل الجسد فيما بعد.**

لو أردتم أن تعرفوا **حقيقة الجسد وقيمته**، دقِّقوا النَظَرَ في خلق **أعضاء الجسد** وشكل هذه الأعضاء ودقائق أعمالها بتوافق وتناسق وانسجام، فإنكَ عندئذ ستتأكَّدُ أنَّ أَدَاءَ هذه الأعضاء والتوافق فيما بينها هو أمرٌ أكثر مثاليَّة وَأَكْمَلُ، من مدينة تحترم قوانينها، **ومواطنيها جميعًا من الحكماء.**

فإن كنتَ أنتَ تتغافل عن كُلِّ هذه الأمور وترى فقط **فساد الجسد وفناءَهُ**، فنحن نستطيع أن نستخرج منها دليلَ الدِّفاعِ عنه. فالبشر لم يخسروا شيئًا من **فساد الجسد**، بل كان هناك ربحٌ كثير **للجنس البشري**، وهذا يتضح من أنَّ كُلَّ **القديسين** قد عاشوا في **الجسد**، وتمكَّنوا من أنْ **يعيشوا كملائكة**، ولم يعطِّلهم هذا **العبء الثقيل** عن التقدم في **حياة الفضيلة**. أمَّا هؤلاء الذين اندفعوا نحو **الطغيان والجحود**، فإن **فساد الجسد** لا يمنعهم من السير خطوات أخرى في **طريق مخالفتهم**.

الخلاصة: أنَّ بعض الناس **المعرضين للموت** مع أنَّهُم لابسون **جسدًا** قابلًا **للآلام والفساد**، يتوهمون أنَّهُم معادلون **لله**. كَمْ مِنْ أُناس بسطاء كان يمكن أن يُخدَعُوا بأحاديثهم لو لم يفطنوا الى أنَّهُم يلبسون هذا **الجسد الضعيف الفاني**؟. فإذا كان ذلك **الجسد القابل للفساد** يُعطي الفرصة **للقديسين** لكي يُظهروا شجاعةً وشهامَةَ النفس، فَأَيّ مغفرة تكون لأولئك الذين يتكلمون **ضِدّ الجسد؟**

نستطيع القول من جهة حقيقة **الجسد** وقيمته، إنَّهُ قد صار لنا سببًا لمعرفة **لله**، لأنَّ الكتاب يقول: «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ.» (رو١: ٢٠). واضح إذن إنَّ النفس ٱقتيدت لمعرفة **لله** الذي خلقها، بواسطة الأعين والآذان، ولهذا فإنَّ **بولس الرسول** كَرَّمَ **الجسد** وهو يقول:«إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا» (٢كو٥: ٤).

لا تَقُلْ لي: كيف يقوم الجسد مرَّة أخرى ويصير غير قابل للفساد؟ لأنَّهُ حين تعمل **قوَّة الله**، فَكُلُّ شيءٍ يصير مُمْكنًا. أنتَ نفسكَ قد خلقكَ **اللهُ** قادرًا أن تصير مُبْدِعًا، وأنتم تختبرون كل يوم أعمال قِيامة، إمَّا في مزروعاتكم أو في فنونكم، أو في الصناعات المعدنيَّة. **فالبذور لا تُخرج السنابل إنْ لم تَمُتْ في البدايةِ وَتَتَعَفَّنْ وتفسُدْ.**

إذن لديكَ دليلٌ واضحٌ، فكما ترى **البذرة تتعفَّن وتتحلَّل**، ثُمَّ بعد ذلك تنمو، فلا **تَشُكَّ** في القيامة، لأنَّ نفس الشيء يجب أنْ تُفكِّر فيه من جهة **جسدك**. فحينما ترى **الفساد** قد دخل فيه، فهذا يجب أنْ يجعلك تفكر في القيامة. لأنَّ **الموت** ليس إلَّا **إبطالًا للفساد، فالموت لا يُبطل الجسد**، بل **الفساد** الذي في **الجسد**. نفس الشيء يراه الإنسان في المعادن. يأخذ الخبراء التراب المخلوط بالذَّهب ويسلِّمونه للمعمل لاستخراج الذَّهب منه. أيضًا يخلطون الرمل مع مواد أخرى لكي يصنعوا زجاجًا نَقِيًّا.

أخبرني إذن إنْ كانت النَّار تصنع هذا، أَفَلَا تستطيع نعمة **الله** أنْ تصنعه؟ فَكِّر في كيفيَّة خَلْقِكَ منذُ البداية، ولا تَشُكّ بالأولى في القيامة؟. أليس بقليل من التراب قد خَلَقَ **الله** أجسادكم؟. أيُّهُمَا أصعب، أنْ يخلق من الطين لحمًا وأوردةً وجلدًا وعظامًا وأعصابًا وشرايينَ، وأن يضع أعضاء الحواس كالعيون والآذان والأنوف والأرجل والأيدي، وأن يُعطي كُلّ عضو قوَّة خاصة به كما يعطيه أيضًا قوَّة تربطه بغيره من الأعضاء. **أو أنْ يجعل القابل للموت غَيْرَ مائتٍ؟**

أَلَا تَرَوْنَ **أنَّ الطين هو مادة متساوية الأجزاء**، بينما **الجسد** متنوع في أعماله وألوانه وشكله وجوهره وفي كُلّ شيء. لا تسأل كيف صنع **الله** الكواكب السَّماوية التي لا تُحصى، **والملائكة ورؤساء الملائكة والطُغُماتِ الأَسمَى منهم؟ أنا لا أعرف كيف**، أقول فقط: إنَّهُ أراد أن يخلقها.

إذن فالذي خَلَقَ كُلّ هذه **الكائنات الرُّوحيّة**، أَلَا يستطيع أنْ يُجَدِّدَ جسد الإنسان مرَّةً أخرى، وأنْ يجعل **القابل للفساد** غير **قابل للفساد** ويرفعه الى أعلى مرتبة ؟

مَنْ يُفَكِّر بأنَّ **الجسد لا** يقوم، **هو عديم الفهم. فعدم** قيامة **الجسد** تَعني **عدم قيامة الإنسان**. لأنَّ **الإنسان** ليس نفسًا فقط بل هو **نفسٌ وجسدٌ معًا**. فلو أنَّ النفس هي التي تقوم فقط، فهذا معناه أنَّ **نصف الإنسان** فقط هو الذي يقوم وليس كلّه. ومن ناحية أخرى فإن القيامة بالنسبة للنفس **ليس لها معنى واضح**. فالقيامة هي للذي **سقط وتحلَّل**، النفس لا **تَتَحلَّلُ**، ولكن **الجسد** هو الذي **يتحلَّل**.

لكن ماذا تعني هذه الكلمات: «وَإِنْ كُنَّا لاَبِسِينَ لاَ نُوجَدُ عُرَاةً.»؟ (٢كو٥: ٣). هنا يُطرح علينا سِرٌّ خفيٌّ وعظيمٌ. ما هو هذا السِّرّ؟ لقد أعلنه في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس حينما قال: «هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ» (١كو١٥: ٥١–٥٢). وما معنى هذا الكلام؟ يعني: **اليهود والأمم وعبدة الأوثان والهراطقة وكل إنسان عاش في هذا**

العالم سيقوم في اليوم الأخير. فالقيامة هي عامة للجميع، للأتقياء وغير الأتقياء، للأشرار والأبرار، لكي لا تعتقد أنَّ هناك **دينونة ظالمة** وتقول في نفسك، ماذا إذن؟ أنا الذي جاهدتُ كُلَّ هذه الجهادات أقوم، **وعابد الأوثان الذي طغى وسجد للأوثان ولم يؤمن بالمسيح** هو أيضًا سيقوم ويستحق نفس الكرامة؟ اسمع ماذا يقول الكتاب :

«وَإِنْ كُنَّا لاَبِسِينَ لاَ نُوجَدُ عُرَاةً.»، ويتساءل المرءُ كيف يحدث هذا؟ طالما يلبس الإنسان الخلود وعدم **الفساد** كيف **يُوجد عاريًا**؟ هذا يحدث عندما نكون **مُجرَّدين** من المجد ومحرومين من الدَّالة أمام الله. **إنَّ أجساد الخطاة تقوم وتكون خالدة**، ولكن هذه الكرامة تتحول بالنسبة لهم الى وسيلة **للعقابِ والعذابِ**. وحيث إنَّ هذه النَّار المُعَدَّة لا تُطفأ، **هكذا أجساد هؤلاء لا تفنى أبدًا**. ولهذا قال: «وَإِنْ كُنَّا لاَبِسِينَ لاَ نُوجَدُ عُرَاةً.».

لأنَّهُ أنْ **نقوم ونلبس عدم الموت ليس هو الهدف**، الهدف هو: **ألَّا نوجد عراة** من **المجد الإلهي** حتى **لا نُسَلَّم للنارِ**. ثُمَّ بعد ذلك يجعل حديثه من جهة القيامة أكثر تأكيدًا وأكمل عندما قال: «يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.»، ثم يضيف: « وَلكِنَّ الَّذِي صَنَعَنَا لِهذَا عَيْنِهِ هُوَ اللهُ.» (٢ كو٥: ٥). وهو يعني بهذا أنَّهُ منذ البداية قد خلق **الإنسان** لهذا الهدف، لا **لكي يَفْنَى**، ولكن لكي يحيا الى الأبد أي خُلق **للخلود والتمتُّع بالنعيم الأبدي**.

حتى حينما سَمَحَ أن تكونوا **عُرضة للموت**، أرادَ **بهذا العقاب** أن تختاروا مسلك الفضيلة ، حتى حينما تَحْيَوْنَ **بالفضيلة** تستطيعون أن تصِلوا مرَّة أخرى **للخلود**. هذا كان قصد **الله** منذ البدء وإرادته في خلق **الإنسان الأول**. فَلَوْ لَمْ تكن هذه هي إرادته منذ البدء، بأن يفتح لنا أبواب **الخلود**، لما ترك **هابيل يعاني هذه المعاناة** وهو الذي أظهر كل فضيلة وصار صديقًا **لله**.

والآن فإنَّ **الله** يُظهر لنا أنَّنَا نسير نحو حياة أخرى، وأنَّ هناك حياة أفضل للأبرار ينالون فيها المكافآت والأكاليل، **وهابيل البارُّ الأوَّل** الذي تبرهن على أنه **بارٌّ**، لم يُكافأ هنا عن أتعابه ورحل دون أن ينال مكافأة. لكن بعد هذه الحياة هناك يكون الأجر وتكون المكافأة. لهذا فإنَّ **أخنوخ وإيليا** اختُطفا مُعْلِنَيْنِ لنا **حقيقة القيامة** فهُمَا مثالان **لقيامة الموتى**.

إذن يكفينا فقط أن نُؤمن **بقوَّة** ذاك الذي يستطيع أن يصنع هذا. ولو وُجِدَ إنسانٌ ضعيف ويريد دليلًا آخر، وتأكيدًا للقيامة الآتية فإنَّ **الله** يعطيه نعمة **الرُّوح القُدُس** بوفرة وسخاء ويعلن له هذه **الحقيقة**.

لهذا فإنَّ **الرسول بولس** في معرض حديثه عن القيامة، **أكَّدَ على علاقة** قيامتنا بقيامة **المسيح**، وبقُدرة الخالق الذي خلقنا، وباستخدامه عبارة: «أَعْطَانَا أَيْضًا عَرْبُونَ الرُّوحِ.»، يُشَدِّد أكثر على تلك الحقيقة. **والعربون** الذي تشير إليه الآية هو الذي يُدفع مُقدمًا، أو في البداية كجزء من الكُلِّ. بالنسبة للكل (أي قيامة المجد) فإنَّ الوعد أكيد. مثلما يحدث عند إجراء العقود، فإنَّ الذي يأخذ العربون لا يكون قَلِقًا على بقية الثمن.

وأنتم أيضًا أخذتم **العَرْبُونَ** بمعنى مواهب الرُّوح، فلا تشُكُّوا ولا ترتَابُوا أبدًا بِأَمرِ الخيرات التي تنتظركم. فأنتم أيضًا: **تُقيمون أمواتًا، وتُشفون عميانًا، وتطردون شياطين، وتُطَهِّرُونَ بُرصًا وتُشفون مرضى وتُبطلون شوكة الموت**. فإن كنتم تستطيعون أن تصنعوا كُلّ هذا وأنتم في هذا **الجسد الفاني**، فَأَيُّ عُذْرٍ لَكُمْ إنْ شككتم بعد ذلك في **قيامة الأموات؟**.

فإن كان **الله** قد اختصنا ونحن بعد في **زمن الشدائد والجهادات** فَوَهَبَ لنا في هذه الحياة الحاضرة مثل هذه **الأكاليل**، وذلك قبل أن تأتي المكافآت المُقبلة، فكم بالحَرِيِّ تكون الخيرات التي سننالها عندما يحين موعد المكافآت؟.

ولو قال أحدٌ، نحن الآن لا نرى مثل هذه المعجزات وليس لدينا مثل هذه القوَّة لنصنع المعجزات، سأجيبه: إنَّ **الرُّسل** كان لهم السلطان على صنع هذا، كما تشهد عليه **الكنيسة الجامعة** في كل مكان، فالشعوب والأمم في كُلِّ المُدن آنجذبوا بقوَّة نحو **صيادي السمك**. لأنَّهُ لم يكن لهؤلاء عديمي العلم والفقراء والمزدَرَى بهم أن يسودوا العالم، لو لم يكن لديهم معونة تلك المُعجزات. أنتم أيضًا لستم مُجرَّدين من نعمة **الرُّوح القُدُس**. يوجد الآن أمور كثيرة تشير الى هذه النعمة وهذه العطيَّة، وهي تفوق **عمل المعجزات**.

فإقامة جسد **من الموت** هي أقل شأنًا من تخليص **نفسٍ مائتة من الخطايا**، وهذا ما يحدث **بالمعمودية**. وإزالة الأمراض الجسديَّةِ هي أدنى قيمةً بكثير من رفع **ثِقَلِ الخطيَّة**. وإعادة البصر الى الأعمى هي أَيْسَرُ جدًّا من إنارة **النفس المظلمة**.

فلو لم يكن لنا عربونُ الرُّوح، لما كان لنا غفرانٌ للخطايا ولا تبريرٌ ولا تقديس، ولا كُنَّا تمتعنا بالتَّبني ولا اشتركنا في **الأسرار المقدسة**. لأن **الرُّوح القُدُس** هو الذي يُقدِّس **الجسد، والدم في سِرّ الإفخارستيَّا**، وَلَمَا كان لدينا كهنوتٌ مُقَدَّسٌ، **فالرِّسامات لا يمكن أنْ تَتِمَّ** بدون حلول **الرُّوح القُدُس**.

أمور أخرى كثيرة يستطيع الإنسان أن يذكُرها، كإشارات لبيان نعمة **الرُّوح القُدُس**. بالتالي فأنتم تأخذون عربون **الرُّوح القُدُس** لتقيموا **النفوس المائتة** وَتُصَحِّحُونَ **الأفكار المريضة**. وبما أنَّنَا قد نِلْنَا تلك الضمانات، فيجب ألَّا يكون لدينا شَكٌّ في المستقبل (القيامة).

لقد جمعنا كُلّ الحُجَج والبراهين الخاصة بالقيامة، فلنُظهر إذن حياة مستحقة لهذا الإيمان، لكي نحصل على الخيرات الوفيرة الثابتة، والتي تتجاوز كُلّ فكر إنساني بالنعمة ومحبة البشر اللتين **لربنا يسوع المسيح** الذي له المجد مع **أبيه الصالح والرُّوح القُدُس** الى دهر الدهور. آمين.

الإصحاح الأوَّل

تتمة العظة الثالثة : (١كو ١: ١٠–١٧)

٣ – إنَّهُ يتكلَّم عن السبب الذي لأجله يشكر الله أنَّهُ لم يُعَمِّد أحدًا. فما هو هدا السبب؟

«حَتَّى لاَ يَقُولَ أَحَدٌ إِنِّي عَمَّدْتُ بِٱسْمِي.» (١كو ١: ١٥).

إذًا، هل قال لهم «أنَّهُ عَمَّدَ بٱسمِهِ)؟، لم يَحدُث هذا أبَدًا، لكنه كان يخشى أن يتطوَّر هذا الدَّاء حتى يَصل إلى هذا الحدِّ. بمعنى أنَّهُ لو صارَ هناك اختيارٌ بين أُناس أدنياء يُعَمِّدون، دونَ أن يكون لهم هُم أنفسهم مكانة وقيمة، وإن كنتُ أنا الذي بشَّرتُ بالمعموديَّة قد عمَّدتُ كثيرين، لكان من الطبيعي لهؤلاء ليس فقط أن يُسَمُّوا بٱسمي، بل أن يُطابِقوا بين المعموديَّة وبيني. ولو أنَّ مثل هذا **الشرِّ العظيم** قد تَمَّت إثارته من خلال موضوعات ثانويَّة، لكان من الممكن أن تنشأ حالات أسوأ لأسباب أخطر. إذًا بعدما وبَّخَ لومًا لكُلِّ مَنْ أخطأ في هذا الموضوع، وبعدما أضافَ: «وَعَمَّدْتُ أَيْضًا بَيْتَ اسْتِفَانُوسَ.» (١كو ١٦:١) ، يعود يُكرِّر **رَفْضَ ٱلتباهي.**

ثُمَّ يُضيف: **«وَعَمَّدْتُ أَيْضًا بَيْتَ اسْتِفَانُوسَ. عَدَا ذلِكَ لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ عَمَّدْتُ أَحَدًا آخَرَ» (١كو ١٦:١) .**

هنا يُبرهن على أنَّه لم يَسْعَ قطُّ لأن يُكرّمه الكثيرون، ولأجل هذا لم يَكُن يُعَمِّد من أجل المجدِ.

وليسَ هذا فقط، بل أنَّهُ قاوَمَ وبِشِدَّةٍ أولئك الذين دَعَموا هذا التوجُّهَ. قائلًا:

«لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ، لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ.» (١كو ١٧:١) .

إنَّ هذا التبشير عملٌ شاقٌّ يحتاج لجُهدٍ كبير ونفس صلبة، لأنَّهُ يشتمل على كُلِّ شيء، ولأجل هذا فإنَّ **الرسول بولس** تعهَّدَ القيامَ بهذا العمل. ولماذا **عَمَّدَ**، وهو لَمْ يُرسَلْ لكي **يُعَمِّد؟**. لم يفعل هذا مُعانِدًا لإرادة من أرسَلَهُ، بل فَعَلَ هذا بحماسٍ كبير، لأنَّهُ لَمْ يَقُل أنَّهُ مُنِعَ من أن **يُعَمِّد** ، بل أنَّهُ لم يُرسَل لهذا العمل على سبيل الحَصْرِ، بل أُرسِلَ لما هو ضروري وَمُلِحٌّ. فالبشارة من الممكن أن تكون عملًا يقوم بِهِ واحد أو اثنان من البَشَر، بينما عمل المعموديَّةِ يحتاج الى أيَّةِ حال إلى الكهنوت، أي أنْ يأخذ أحدًا موعوظًا قد آمَنَ بالأمور المختصةِ بمبادئ الإيمان، وَيُعَمِّدَهُ. هذا العمل يمكن أن يمارسه كائن مَن كان، لأنَّ إرادة المُقبِل على الإيمان، ونعمة الله، هما اللذان يصنعان كُلّ شيء فيما بعد. ولكن عندما يلتزم أحدٌ بأن يُعَلِّم مبادئ الإيمان، لواحدٍ من غير المؤمنين، إنَّ هذا يحتاجُ إلى **جهدٍ كبيرٍ، وحكمةٍ كبيرَةٍ**، عندئذٍ يجتاز المرءُ مرحلة الخطَر.

أي أنَّ عَمَلَ المعموديَّةِ، يُعتبَر بمثابَةِ مُحَصِّلَةٍ لكلِّ ما سبقها من فعل، فالذي ينوي أن يُعَمِّد، يكونُ قد آمَنَ. وليسَ صعبًا على الإطلاقِ أنْ يُعَمِّدَ أحدٌ شخصًا قد اقتَنَعَ وآمَنَ. ولكن تعليم الموعوظين يحتاجُ **لجُهدٍ كبير**، حتى يُغَيِّرَ المرء الإرادة، ويغيِّرَ الذِّهن، ويزيلَ **الخِدَاع، ويزرعَ الحقيقة جيِّدًا**. لكنه لا يقول هذا بدون سبب، ولا يزعم أنَّ المعموديَّةَ لا تحتاجُ لأيِّ تعب، بل أنَّ تعليم الموعوظين هو الذي يحتاجُ لذلك، لأنه يعرف كيفيَّة حفظ المعيار الدقيق في الكلام، بل أنَّهُ وَفقًا لمقارنة الإيمان بالحكمةِ العالميَّة، فهو يوَجِّه أسئلة جادَّة، إذ بإمكانه أنْ يتحدَّث بفيضٍ وحماس. إذًا فهو لم يُعَمِّد راغبًا في مقاومة مَنْ أرسَلَهُ، بل تمامًا كما في **حالة الأرامل**، فبينما الرُّسل قالوا: «لاَ يُرْضِي أَنْ نَتْرُكَ نَحْنُ كَلِمَةَ اللهِ وَنَخْدِمَ مَوَائِدَ.» (انظر اع ٢:٦)، فالموائد هي خدمة متعلِّقة بعمل اليدين، وهذا ليسَ كمعارضة لأولئك، بل بسبب الغيرة والحماس تُجاهَ خدمة الكلمة، هكذا في هذه الحالة (التي فيها لم يُرْسَل بولُسُ لِيُعَمِّدَ بل لِيُبَشِّرَ).

الآن أيضًا بالنسبةِ للبسطاء من الشيوخ، فإنَّنا نَعْهَدُ إلى الأكثر

ثقافةَ وَعِلمًا منهم بتعليم الكثيرين، لأنَّ هنا تحديدًا يَظْهَرُ الجُهدُ والتعب، مِن أجلِ هذا يقول **الرسول بولس**: «أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ» (١تيمو٥:١٧). تمامًا كما أنَّ التعليم الخاصّ بالمصارعةِ هو عمل رجلٍ شُجاع، ومُدَرِّبٍ حكيم وخبير، أمَّا مكافأة وتكريم الفائز، فيقوم بِهِ شخصٌ ليسَ له دراية بالمصارعةِ، على الرغمِ من أنَّ الإكليل أو التَّاج، هو الذي يجعل المنتصر أبهى، هكذا فيما يتعلَّق بالمعموديَّةِ، فمن ناحية يكون مِنَ المستحيلِ **أنْ يَخلُصَ** أحدٌ بدون إرادته وقبوله الإيمان. ولكن الذي يُعَمِّد لا يقوم على الإطلاق بعملٍ صعب، لأنَّهُ يتسلَّم إرادة جاهزة وَمُعَدَّة (للمعموديَّةِ). «لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ.» (١ كو ١:١٧).

وبعدما كبحَ **افتخار** هؤلاء لأنَّهم كانوا يُعَمِّدون، نَجده قد انشغَلَ **بالمفتخرين بحكمتهم العالميَّة**، ولذلك تسلَّح أكثر في مواجهتهم، فقال للذين افتخروا، لأنَّهم كانوا يُعمِّدون: «أَشْكُرُ اللهَ أَنِّي لَمْ أُعَمِّدْ » (١ كو١:١٤)، وأيضًا: «الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ.» (١ كو١: ١٧)، لم يتحدَّث بشدَّةٍ، ولا بحُجَجٍ جديدة، بل تجاوَزَ الموضوع، بعدما طَرَحَ بِبَساطة كُلّ ما أراد أن يقوله بكلماتٍ قليلة. لكنَّنَا نجده هنا يبدأ بضرواة، قائلًا: «لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ.» (١ كو١: ١٧). إذًا لماذا تفتخر بالموضوع الذي كان ينبغي أن تخجل منه؟ أي إنْ كانت **هذه الحكمة تُحَارِبُ الصليبَ، وتُقاوِم البشارة**، فيجب ألَّا تفتخر بذلك، بل على العكس يجب أن تشعر بالخجل، لأنَّ السبب الذي من أجله لم يسعَ الرُّسل للحكمةِ العالميَّةِ، ليس ضعف الموهبة، بل حرصهم على ألَّا تُضارَّ **البشارة**. وبناءً على ذلك، فهؤلاء لم يتعلَّموا حكمة الكلام، بل إنَّهم لم يلتزموا بقوانينها وتجاوزوها. العوام هم الذين يَدعَمونَ حكمة الكلام. هذا الحرص (بألَّا تُضارَّ البشارة)، يمكنه أن يُدين الافتخار، ويوقِف المرض، ويُقنِعَ بالتواضع.

وإن كانوا لم يُبَشِّروا حقًّا بكلام الحكمة العالميَّة، فقد يقول البعض: لماذا أرسلوا **أَبُولُّس** الذي كان فصيحًا بالقول؟. لقد أرسلوهُ ليسَ لثقتهم في قوَّة كلامِهِ، بل لأنَّهُ كان مُقتَدِرًا في الكُتب وقادرًا على توبيخ اليهود. العكس هو الصَّواب، فالمطلوب كان شيئًا آخَرَ، وهو ألَّا يكون القادة (من الرُّسل)، فكُلّ الذين نشروا الكلمة أولًا، كانوا من الفُصَحاءِ، لأنَّ هؤلاء كانوا يحتاجون لقوَّةٍ كبيرةٍ، حتى يستطيعوا من البداية أن يكشفوا **الخداع والغِشّ**، وهذه المحاولة كانت تحتاج لقوَّةٍ كبيرةٍ.

٤ – إذًا، فذاكَ الذي لم يَحْتَجْ الى مُثقَّفين منذُ البداية، وإن كانَ قد تعرَّفَ فيما بعد على فلاسفة، فهذا لم يَكُن أمرًا بحاجةٍ إليهِ، بل إنَّ ذلك لم يترك لديه وقعًا أو تأثيرًا ما، أيْ كما أنَّهُ لم يكُن يحتاج الى فلاسفة، لكي يحقِّق ما أراده، هكذا ولا سيستبعدهم لهذا السبب، إنْ حدَثَ هذا فيما بعد.

فلتُبرهن أو لتُدَلِّل لي على أنَّ **بطرس وبولس** كانا من المتخصِّصين في الخطابة، **لن تستطيع**، لأنَّهما كانا غير متخصِّصين ولم يتعلَّموا الخطابة. تمامًا كما أنَّ **المسيح** أرسَلَ **تلاميذه** الى العالم، بعدما أظهَرَ لهم قوَّتَهُ في أورشليم قبل ذلك، وبعدما قال لهم: «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» (لوقا ٢٢:٣٥)، لكنه سمحَ لهم فيما بعد أن يحملوا كيسًا وَمِزْوَدًا، هذا ما فعله **الرسول بولس** بموضوعيَّةٍ، فالهدف كان قبول **قوَّة المسيح**، وألَّا يُحرَم المقبلون على الإيمان المسيحي من هذا الإيمان، بسبب الحكمةِ العالميَّة. وعندما اتَّهَمَ اليونانيون التلاميذ، بأنَّهُم بُسطاء، فإنَّنَا نفتخر بأنْ نتهمهم بنفس الاتهام، بل وأكثر منهم. ولا يَقُل أحدٌ مُفتخرًا بأنَّ **بولس** كان فيلسوفًا، لأنَّنَا في الوقت الذي يفتخرون فيه بفلاسفتهم الكبار، ويتباهون بحكمتهم وفَصاحتهم، لِنَقُل نحنُ أنَّ **مُبشِّرينا** كانوا من **بُسطاء الناس**، لأنَّهُ عند هذا الحدّ سنتغلَّب على هؤلاء، وهكذا سيكون انتصارنا مُشرِقًا وبهيًّا.

أقول هذا الكلام، لأنَّني سمعتُ ذات مرَّةٍ شخصًا مسيحيًّا يتناقش مع شخص يوناني، بطريقةٍ مُثيرةٍ للسُّخريَةِ، وكان كُلّ واحدٍ منهما يُبطِل حججه ومُبرّراته هو، لأنَّ كُلّ ما كان ينبغي أن يقوله المسيحي، قد قاله اليوناني، وما كان طبيعيًّا أنْ يقوله اليوناني، قد طرحه المسيحي. وكان النقاش حولَ **بولس وأفلاطون**. فاليوناني كان يُحاول أن يُبرهِن على أنَّ **بولس** كان غير متعلِّم أو غير مثقَّف وبسيط، أمَّا المسيحي فبسذاجَةٍ كان يُحاول أن يُقدِّم **بولس** على أنَّهُ أكثر فصاحَة من **أفلاطون**. وهكذا كان الفائز في هذا النقاش هو اليوناني، لأنَّ حُجَّته كانت الأقوى، فإنْ كان **بولس** أفصح من **أفلاطون**، فقد كان من الممكن أن يترتَّب على ذلك أنَّ كثيرين سيدّعون أنَّ **بولس** سينتصر **بالفصاحَةِ** وليسَ **بالنعمة**. حتى إنَّ مَا قالَه المسيحي كان لصالح اليوناني، وما قاله اليوناني كان في صالح المسيحي، أيْ إنْ كان **بولس** اعتُبِرَ غير مثقَّف ثقافةً بشريَّةً، وانتَصَرَ على **أفلاطون** – كما قيل – فالفوز يكونُ بهيًّا، لأنَّ ذاكَ الجاهل أو غير المتعلِّم قد تفوَّقَ على أولئك المثقَّفين والفلاسفة، وانتَصَرَ عليهم. وهكذا فقد صارَ واضحًا أنَّ البِشارة لم تَتِمَّ **بالحكمةِ الإنسانيَّةِ**، بل **بنعمة الله**.

إذًا، فلكي لا نُعاني من هذه الأمور، وحتى لا يسخَروا مِنَّا عندما نتناقَش مع يونانيين ونُصارِع في مواجهة أفكارهم، فلنتّهم الرُّسل بأنَّهُم **غيرُ متعلّمين**، لأنَّ هذا الاتهام يُعتبر **مديحًا**. وعندما يقول اليونانيون: أنَّ الرُّسل كانوا غير مثقَّفين، فلنُضِف نحنُ أيضًا ولْنَقُل بأنَّهُم كانوا أيضًا جُهلاء، وفقراء، وَمُزْدَرَى بِهم أو أدنياء، ولا مكانة لهم، وهذا ليس **تجديفًا** على الرُّسل، بل هو **مجدٌ لهم**. لقد بَدَا الرُّسل أبهى في المسكونَةِ كلِّها، بمعنى أنَّ هؤلاء البُسطاء، وغير المثقَّفين والجُهلاء، انتَصروا على الحُكماء، والأقوياء، والطغاة، وعلى المفتخرين بالغِنَى، وبالمجدِ، وبجميعِ المظاهر الخارجيَّة، وقد أحبطوهم تمامًا حتى أنَّهُم فقَدوا شجاعتهم. هكذا صارَ من الواضحِ أنَّ **قوَّة الصليبِ عظيمةٌ**، وأنَّ البشارة والأحداث التي رافقتها، لم تَكُن بقوَّةٍ إنسانيَّةٍ. إنَّ كُلّ ما تحقَّقَ لم يدخل في إطار الأمور الطبيعيَّةِ، بل هي أمور تتجاوز الطبيعةِ،

وعندما يتجاوز أمرٌ ما هو طبيعي، بل ويتجاوز الطبيعة بدرَجةٍ كبيرة، وفي نفس الوقت يكون لائقًا ونافعًا، فهذا يعني أنَّهُ قد تمَّ بقوَّةٍ ومعونَةٍ إلهيَّةٍ.

لاحظ كيف أنَّ صيَّاد السمك، وصانع الخيام، والعشَّار، والبسيط، والأُممي، جميعهم قد أتوا من فلسطين، من بَلَدٍ بعيد، وبعدما تركوا بلدهم، ليكرزوا بالإنجيل، إستطاعوا خلال فترةٍ وجيزةٍ، ورغم ما تعرَّضوا له من أخطارٍ شديدةٍ، أنْ يتغلَّبوا على فلاسفة، وخُطباء، ومُجادلين أشِدَّاء. وبالرغمِ من أنَّ شعوبًا وملوكًا قد هاجموهم واعتدوا عليهم، بل والطبيعة نفسها حاربتهم، والعادات الكثيرة التي استقرَّت في الأزمنة القديمة قد قاومتهم بشدَّة. وبالرغمِ من أنَّ **الشياطين** كانوا مُسَلَّحينَ، وأنَّ **عدوّ الخيرِ هاجمهم** وحَرَّكَ ضدَّهُم الجميع، **ملوكًا وولاةً، وشعوبًا، وأُمَمًا، ومُدُنًا، وبربر، وفلاسفة، وخُطباء، وسفسطائيين، ومُحامين وقوانين، ومحاكم، وعقوباتٍ متنوِّعة، وأنواع ميتات لا حصرَ لها**، لكن كُلّ هذا تقهقَرَ وتراجَعَ، بشارة صيادي السمك، مثل التراب الدقيق الذي لا يستطيع أنْ يُعيق اندفاع الرِّياحِ الشَّديدة.

إذًا، لنتعلَّم أنْ نتناقَش **اليونانيين الوثنيين**، لكي لا نكون مثل الحيوانات التي ترعى في الحقول، بل ونكون مُستعدِّين دومًا للدفاعِ عن رجائنا. لِنَدْرُسْ هذا الموضوع الجَّاد، وَلْنَقُلْ لهؤلاء **اليونانيين** كيف انتَصَرَ هؤلاء الضعفاء على الأقوياء، وكيفَ بَشَّرَ الإثنا عشر تلميذًا في كُلِّ المسكونَةِ، وكيفَ أنَّهُم لم يستخدِموا نفس الأسلحَةِ، بل حَارَبوا مُجَرَّدين في مواجَهَةِ مُسَلَّحين؟.

علاج الورم

السيِّد خريستوذولوس ثيودورو، من شارع ذيكيوسيني ٦، أيچيوس سبيريدون – ليماسول – قبرص، يكتب لنا **(الكلام موجَّه الى دير ماليقي العامر للرُّوم الأرثوذكس)**.

لقد عانت زوجتي من ورمٍ خبيثٍ في الغدة الدُرقيَّة. وبعد حصولها على الطِّيبِ المقدَّس من دير العذراء ماليقي للروم الأرثوذكس في أركاديا – بيلوبونيسوس في اليونان، رشمت نفسها بشكل صليب، وعندها حصلت المعجزة، فقد تلاشى الورم بشكلٍ نهائي.

نشكر وبحرارة **القديسة والدة الإله** لهذه العجيبة التي صنعتها معنا، بواسطة الطِّيبِ المقدّسِ من ديرها العامر في ماليقي.

علاج القلب

السيِّدة چيورچيًا ماليكو، من شارع أوسيپو ٨، ٧١٩١٣ أيچيوس أنطونيوس – نيقوسيا – قبرص، تكتب لنا **(الكلام موجَّه الى دير ماليقي العامر للرُّوم الأرثوذكس)**.

لقد عانى أخي من مشاكل صعبة وَجِدِّيَّةٍ في عضلة القلب . وبعد حصوله على الطِّيبِ المقدَّس من دير العذراء ماليقي للروم الأرثوذكس في أركاديا – بيلوبونيسوس في اليونان، رشم نفسه بإيمانٍ كبير بشكل صليب، مع صلواتٍ حارَّة وبلجاجةٍ، عندها حصلت المعجزة، فقد تحسَّنت حالته بشكل كبير، وهو يتمتّع الآن بصحةٍ جيِّدة.

نشكر **القديسة والدة الإله مريم** بحرارة لهذه العجيبة التي صنعتها معنا.

«يا أولادي الأحباء، عظيمٌ هو مجدُ القديسين، فينبغي أن نفحصَ عن تدبيرِهم الذي نالوا بواسطتهِ هذا المجدَ، وبأي عملٍ وفي أي طريقٍ وصلوا إليه. وقد علمنا أنَّهم لم يشتروه بغنى هذا العالم ولا حصَّلوه بصناعةٍ ما أو بتجارةٍ ما. ولا اقتنوه بشيءٍ مما يملكون، إذ أنهم تمسكنوا وتغربوا عن هذا العالمِ، وجالوا جياعًا فقراءَ، فعلى ما أراه أجدُ أنَّهم نالوا ذلك المجدَ العظيمَ بتسليمهم ذواتهم وتدبيرِ أمورِهم ونيَّاتهم للهِ، فأخذوا إكليلَ المجدِ السماوي، فما الذي كان لهم وليس هو لنا سوى أنهم تركوا أهويتهم كلَّها من أجلِ الرَّبِّ وتبعوه حاملين الصليب؛ ولم يفصلهم حبُّ شيءٍ آخر عن محبتهِ تعالى. لأنَّهم لم يحبوه أكثرَ من الأولادِ فقط مثل إبراهيم، بل وأكثر من ذواتِهم أيضًا، كما يقول بولس الرسول: « لا شيء يستطيعُ أن يفصلَه عن حبِّ الله.»

القديس مكاريوس الكبير

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل السادس عشر

كانت المؤلفات التي ينشرها تشقّ طريقها. وقد أعطت **جامعة أُكسفورد** جائزتها الأولى لكتابه «**تعليم الدين الإلهي**»، وهو مُؤَلَّف سَهل وبعيد عن التكلُّف. وقد زاد عدد اصدقائه ومعارفه في العاصمة اليونانيَّة الآخذةِ في النموّ. وكان بعضهم يشترون كتبه، ويطلبون منه المزيد من النُسَخِ ليبيعوها. ولم يَعُد **الناشر باراسكيڤا ليونيس** يُطالب بديونه، ولم يَكُن ينفَكّ عن ارسال المتدرّجين لإحضار المخطوطات الجديدة في كُلِّ مرَّةٍ.

وَفَقَدَ صديقه المُخْلِص كوستي والدته، فأصبحَ حزينًا وقليل الكلام، يقضي الوقت بالتنهد؛ ولكنه برهَنَ في الأشهر التالية عن نشاط عظيم وقوَّة ذكاء، فَأَدْهَشَ الجميع: فكان يجتاز المدينة راكضًا من أقصاها الى أقصاها للعثور على قُرَّاءٍ مُخلِصين. وكان يُحضِر قِطَع الدراخما بالمئات، حاملًا في ذراعه الأيمن – الذي يضع عليه الحقيبة السوداء – كيس الدراهم المُبارَك الذي كان يمتلىء ويفرغ دون توقُّف، وقد صارَ أداةً صليبِيَّةً روحِيَّةً.

واعاد نكتاريوس كتابة مُؤَلَّفَيْهِ : «**حول خلود الرُّوح**» و «**خِدَم من أجل الرَّاقدين**»، وضَاعَفَ حجمهما أربع مرَّاتٍ. وأعادَ طبعها في العام ١٩٠١ مع الاهداء التالي: « إلى أرواح والِدَيَّ المحترَمَيْنِ ديموس وبالو، وأشقائي وشقيقاتي الأحباء: ديمتري وغريغوار وسماراغد وسيبستياني وماريت، بمثابة خدمة روحيَّة عن نفوسهم. **نكتاريوس، أُسقف المُدن الخمس، الابن والشقيق**».

كما انهى **الكُتب التالية**: «**والدة الإله الكليَّة القداسة**» و «**والدة الإله الدائمة البتوليَّة**» و «**حولَ قديسي المسيح**» و «**حول سرِّ الإفخارستيَّا الإلهيَّة**»، و «**حول التوبة والاعتراف**» وغيرها أيضًا. وأعطاها إلى **الناشر باراسكيڤا ليونيس**. وفي الوقت نفسه اهتمَّ بنشر «**مجموعة الكتابات المقدَّسة المُستوحاةِ من الله**» لأنطيوخوس راهب غلاطية، من لاڤرا القديس سابا، من أجل **منفعة المسيحيين الأخلاقيَّة**. وكانَ كتابًا فريدًا من نوعِهِ، يحتوي على أكثر من مئة وثلاثين مقالة من بينها: «**عدم وضع الثقة بالانسان**» و «**عدم وضع الثقة في القدرة الشخصيَّة**»، و «**في الحِلْمِ والغَضَب**» و «**في احتقار العالم**» و «**في الصبر**» و «**في الأحلام**» و «**الانقطاع عن المعاشرة الباطلة**».

الفصل السابع عشر

«فَقَالَ الَّذِينَ سَمِعُوا: «فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَقَالَ:«غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ».(لوقا ١٨:٢٦-٢٧).

«وَقَدْ أَبْقَيْتُ فِي إِسْرَائِيلَ سَبْعَةَ آلاَفٍ، كُلَّ رُكْبَةٍ لَمْ تَجْثُ لِلْبَعْلِ ...».

(٣ ملوك ١٩ : ١٨).

بقيت الجموع تتزاحم بعد ظُهر أيام الجمعة للحصول على بطاقات الدخول للمشاركة في قداس الأحد الإلهي. وازدادت من جهةٍ أُخرى اعداد المشاركين في الخِدَم الليتورجيَّةِ الأُخرى والاستماع الى المواعظ التي كان يُلقيها نكتاريوس في كنائس أثينا والبيريه، بموافقة المتروبوليت طبعًا.

ولم يَكُن كهنة المجمع المقدَّس ليستطيعوا تلبية جميع الاحتياجات الليتورجيَّة من قداديس لأجل الرَّاقدين، وأعراس ومآتم ... لذلك كان يُستَدعى نكتاريوس، هذا «الكاهن الاحتياطي» الموجود في المدرسة.

وكُلّ مرَّة كانت تدعو الحاجة لمثل هذه الخِدَم خارج المدرسة، كان كوستي يمتلىء فَرَحًا لكونه سينقُل الخبر إلى الناس. فما أنْ يخرج من المدرسة حاملًا كيسَهُ للقضايا اليوميَّة الصغيرة، ولِقَبضِ المال، حتى كان جميع أنواع الناس يُنادونه لسؤاله عن أخبار جيِّدة حتى يتناقلوها. ولذا فعندما كان نكتاريوس يُقيم الخِدَم خارج المدرسة، كان الناس يتوافدون منذ بداية الصلاة السَحَرِيَّةِ.

وكانت **عائلة مانطوبولوس** تقطن في شارع كزينوفون بقرب القصر الملَكِي وحديقته، في بيت واسع يحتوي على أكثر من عشرين غرفة. وكانت **السيِّدة مانطوبولس** قد آوت إلى بيتها شابة ضريرة منذ سنة ونصف. وكان **سيِّد البيت ملاكًا كبيرًا**، وشقيقًا للراهب أفساڤيوس الذي أسَّسَ فيما بعد حركة «زوبي».

كانت الشَّابة الضريرة من البيريه ، واسمها كريزَنتِيا. وقد فقدت والدها منذ بعض الوقت تاركًا عائلة كثيرة الأولاد وأُمَّهُم التي اضطرت للعمل كخادمة في البيوت من أجل إعالتهم. وقد تسلَّلَ الفَقر رويدًا رويدًا إلى هذه العائلة اليتيمة، **فَوَلَّدَ** فيها اضطرابات كثيرة. ولكن الصبيَّة بقيت وحدها، كزنبقةٍ نَضِرَةٍ بين الأشواك. وما أن وصلَت الى عمق التفكير حتى تاقت نفسها إلى نبع الحقيقة النَّدِيّ، والمياه الخالدة التي لا يعطش مَن يشرب منها أبدًا. كانت مثل أَيِّلِ المزمور الذي يشتاقُ إلى ينابيع المياه. كانت هذه الضريرة تسمع العالم دون أن تراه، ولم تَكُن تستطيع التنقُّل دونَ رفيق منذُ صِغَرِ سِنِّها. فقد أُصيبَت **بمرض التيفوس** منذ طفولتِها الأولى، وقال طبيب الحيّ – بحسب معارف ذلك العَصر – إنَّها لَن تَشفى إلَّا إذا أُجرِيَت لها حقنة سوف تصيبها حتمًا بالعَمى. وكان على والِدَيْهَا الاختيار بين العَمى والموت. فاختارا لها العمى. فعاشت الفتاةُ على هذا النحو وكَبرت بين اخوتها وأخواتها. ومنذ طفولتها بدت رقيقة الرُّوح، حنونة، مُرهَفَةَ الحسّ، ممتلئة بالطِّيبَةِ والحُبِّ. وفي بحثها المتواصل عن نبع الخلود التقت بالمصلوب الذي يشفي العميان.

التطويبات

طوبى للمساكين بالرُّوح (4)

المؤلِّف: هو الأب أنتوني م. كونياريس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم اليونانيّة (الروميَّة) الأرثوذكسيَّة في مينيابوليس،في الولايات التحدة الأمريكيَّة، وهو يتميَّز بغيرة رسوليَّة حارَّة. كان مسئولًا عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجحَ من خلال كتاباته في جعل الروميَّة الأرثوذكسيَّة للشباب رسالة ذات تقليد حيّ، تتقبَّل كُلّ ما هو حقيقي وجميل، وترفض كُلّ ما هو زائف وفاسد.

من يستطيع أن يعادل المسيح في إخلائه لذاتِهِ:

لن نَجِدَ أكثر من إخلاء المسيح لذاتِهِ على الجُلْجُثَةِ، فقد وَضَعَ نَفسَهُ بطاعَتِهِ العظيمةِ للآبِ، فقد قال لتلاميذه: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا هٰهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ». ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ». ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ.» (متى ٢٦: ٣٨-٤٤).

تعليقًا على مُعاناة يسوع المسيح في الجُلْجُثَةِ، كتب **الأرشمندريت صفروني** يقول: «**لا يستطيع أحد أنْ يُخلي ذاته كما فعلَ المسيح، بأنْ يذهب الى تلك الميتَةِ الشنيعة المخصَّصة لفاعلي الشَّر. أَلَمْ يُعَلَّق عُريانًا على الصليب في وجود أُمِّهِ وبعض النساء اللواتي تَبعنه وفي غياب تلاميذه الذين نظروا الفشل الأخير لرسالته ... من يستطيع أن يُدرِك ما عاناه في أعماق نفسه في تلك اللحظات؟**».

من الصَّعب أنْ يُعَبِّر أحدٌ عن إخلاء الذَّات الذي قام به **السَّيِّد المسيح**، فقد كتبَ **بولس الرسول** يقول: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» (فيلبي ٢: ٦-٩).

إنَّهُ من السُخرية أن يكون عرش يسوع المسيح الوحيد هو الصليب، وتاجه الوحيد مصنوعًا من الشَّوكِ، ومع ذلك، فهذا الصليب هو الذي كان يُصَوَّر على ثياب أباطرة الرُّوم (البيزنطيين) الذين يرتدون الحُلل الملوكيَّة الفخمة، والتيجان المُرَصَّعة بالجواهر الثمينة، ويُنقَش على العروش الملوكيَّة.

يَصِف القديس فيلوثيوس السينائي التواضع الحقيقي ليسوع المسيح فيقول: «**يسوع المسيح نفسه الذي هو الله غير المُدرَك الفائق الوَصف، وهو يرغب أن يُرينا طريقًا للحياة الأبديَّة والقداسة، كان متسربلًا بالتواضع خلال كُلّ حياته بالجسد. لذلك فالتواضع المُقَدَّس ينبغي أن يُدعَى فضيلة إلهيَّة، والثوب الملوكي، والوصيَّة المقدَّسة.**»

ما الذي لَكَ ولم تأخذه:

يقودنا القديس بولس الرسول ناحية تواضع ربّنا بسؤال عميق: «وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ (عَطِيَّةٌ من اللهِ) وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟» (١ كور ٤: ٧).

هذه الآية تُذَكِّرنا بالشخص الذي قال: «الإنسان يشبه المُتَسَوِّل الذي يستعطي قطعة خبز، ثمَّ يشعر بالفخر لأنّه يمتلكها».

التواضع هو التقدير السليم لأنفسنا، الذي يجعلنا نكتشف وزناتنا وقُدراتنا، وذكاءنا الذي أخذناه من الله. ففي الحقيقة: «**وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟**».

لذلك نحنُ ليس لدينا شيء لنفتخر به تجاه هذا المجد الذي نلناه مجَّانًا، ولذا فمن **الحماقة** أن نُنكر نعمةَ وَجُودِ اللهِ وكَرَمِهِ، الذي أعطانا هذه الخيرات والمواهب التَّامة، عارفين أنَّ اللهَ هو مصدَر كُلّ ما لدينا، وذلك يقودُنا لعدم الافتخار بها، بل إلى الامتنان.

ويَقول القديس فيلوثيوس السينائي مُقَدِّمًا بولس الرسول كأثمن مثال للتواضع قائلًا:

« **أَلَا تَرَى أنَّ ٱلاتضاع هو ٱلطريق الى ٱلقداسة، وأي ٱتضاع هذا ٱلذي كان لَدَى بولس ٱلرسول حتى قال: «المسيحُ جاءَ لِيُخَلِّص الخطاة الذين أَوَّلُهُمْ أنا» (١ تي ١: ١٥). أَفَلَا يجب أن نَتَّضِع نحنُ بالأحرى بسبب دناءة طبيعتنا، فماذا الذي يكون أكثر دناءة من الطين**».

يُخبرنا آباء البريَّة أنَّ أخًا سألَ شيخًا قائلًا: «**ماذا أفعل فأنا مُحارَب بالكبرياء؟**» ، فأجابه الشيخ قائلًا: «**لكَ الحقّ أن تفتخر، ألستَ أنتَ الذي صنعتَ السموات والأرض؟**». وفي الحال شُفِيَ الأخُ من هذا الوجع.

القديس يوحنا كاسيان:

مدَحَ القديس يوحنا كاسيان فضيلة التواضع قائلًا:

« عندما نحصل على درجة من القداسة سنجد أنفسنا نكرِّر كلمات بولس الرسول: «ليس أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو ١٥: ١٠)، كما قال الرَّبّ: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو ١٥: ٥). كما يجب أن يكون لنا ذلك الفكر الذي لداود النبيّ الذي قال: «إن لم يَبنِ الرَّبّ البيتَ فباطلًا يتعب البناؤون» (مز ١٢٦: ١). وفي النهاية: «ليس لمن يشاء ولا لمن يسعَى بل لله الذي يرحم» (رو ٩: ١٦).

مهما كان أحدٌ جادًّا ومجتهدًا وثابت العزم، فهو لا يستطيع – طالما هو مرتبط باللحم والدم – أن يقترب من الكمال إلَّا من خلال رحمة ونعمة المسيح. يقول القديس يعقوب الرسول: «كُلّ عطية صالحة وكُلّ موهبة كاملة هي منحدرة من لدنك يا ابا الأنوار» (يع ١: ١٧).

اللِّص الذي ورثَ الفردوس لم يَرثه مكافأة على فضيلة، وهذا شاهد على حقيقة أنَّ الخلاص لنا من خلال النعمة ورحمة الله. وكُلّ آبائنا الروحيِّين يعرفون ذلك بحسب التعليم الذي يقول: إنَّ الكمال في القداسة يتحقَّق فقط من خلال الاتضاع، والاتضاع بدوره لا يتحقَّق إلَّا من خلال الإيمان ومخافة الله والوداعة والتخلِّي عن كُلّ المقتنيات. بواسطة هذه الوسائل سوف نحصل على الحُبّ، ومن خلال النعمة ورأفة إلهنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم:

كَتَبَ قائلًا:

عندما تكون كريمًا مع شخص آخر، فأنتَ لا تُقَدِّم شيئًا من عندك، لكن تُوْفِي دينًا، فكل شيء مادي تمتلكه هو من الله الذي خَلَقَ كُلّ الأشياء، وكُلّ فضيلة روحيَّة أنتَ تمتلكها هي من خلال نعمة إلهيَّة أيضًا، فلذلك أنتَ مَدِينٌ بكلِّ شيء لله. ذلك يُعطينا فكرة عن الشخص الذي قال للذي يجاوبه: «نعم إنَّكَ على خُلُقٍ». فرَدَّ الآخر: «لازال لديَّ الكثير لأكون على خُلِقٍ».

وهذا النوع من الاتضاع نجده في حياة القديسين.

القديس مكاريوس الذي من أُوبتينو:

أُخبِرَ ذات مرَّة أنَّ نصائحه الرُّوحيَّة نافعة فقال: «إنَّ ذاك غير ممكن حيثُ أنَّ كُلّ شيء خاطيء هو مِنِّي، أمَّا كُلّ ما هو مُفيد من الإرشادات فهو من روح الله، تلك هي إرشاداته التي سمعتُها منه بالحقيقة، ومرَّت من خلالي قائلًا إيَّاها بدون أيِّ تحريف».

«**كُلّ شيء خاطيء هو مِنِّي**» لقد كان مقتنعًا تمامًا أنَّ كُلّ مجهوداته الشخصيَّة هي التي تسبَّبت فقط في أخطائه، وكُلّ ما يأتي بِهِ من نصائح يجب أن يكون من خلال الرُّوح القُدُس العامل فيه.

القديس سمعان اللاهوتي الحديث:

كان يَعِظ مُخبِرًا الذين يعظهم بكلمة الله قائلًا:

« مثل المزمار المصنوع بواسطة الحِرَفِي، لا يمكن أن يعزف من خلال نفسه، بل هذا يحدث فقط عندما يدخله الهواء، وأصابع العازف تبدأ تعزف بطريقة منتظمة عليه، عندئذ يُحدِثُ صوتًا جميلًا وموسيقى خَلَّابة لآذان السَّامعين. يحدث مثل هذا في نفسي بالرغم من ضآلة شأن الآلة (التي هي نفسي)».

رَجُل أعمال غنيّ جدًّا قالَ مرَّة بأنَّهُ لا يحتاج لشيء إطلاقًا، لذا فهو لا يُصَلِّي، بل كان يقول: «أنا عندي كُلّ ما أحتاج فلماذا أُصَلِّي إذًا»؟. فأجابه صديقه: «ربما يا سيدي على ما أعتقد أنَّهُ عليكَ أن تُصَلِّي لأنَّكَ تحتاجُ الى الاتضاع.

لماذا طَوَّبَ الرَّبُّ المساكين بالرُّوح؟ :

لأنَّهُ قالَ من خلال مَسكنة الرُّوح سوفَ نحصل على أعظَم كنز وهو ملكوت السموات: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ٣). إنَّ المساكين بالرُّوح يدخلون الملكوت مباشرة حيث طريق الاتضاع يُوْصِلُهُمْ الى هناك مباشرة.

عندما كان الرُّسل مرَّةً يتشاحنون على من هو الأعظم، ولاحَظَ يسوع ذلك، أجابهم بأنْ أخذ طفلًا صغيرًا واقامه في وسطهم وقال: «فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.» (مت ١٨: ٤). وليس هذا فقط، بل وبدون أن نصير مثل الأطفال، الأمر الذي لا يعني سوى الاتضاع ومسكنة الرُّوح، فسوف يستحيل دخول الملكوت.

الاتضاع هو الذي يفتح الباب إلى الملكوت:

قصة:

توضح القصة التالية تطويب المساكين بالرُّوح، وكيف يَفتح لهم طريقًا إلى ملكوت السموات.

عندما مات **إمبراطور النمسا**، تمَّت مراسيم خاصة على باب القبر، فخادم الملك طرق ثلاث مرَّات على الباب، فردَّ راهبٌ من الداخل قائلًا:

«مَن بالخارج؟».

فردَّ الخادم قائلًا: «إمبراطور النمسا العظيم».

فأجابه الرَّاهب: «نحنُ لا نعرفه».

فطَرَقَ الخادم ثانية، فأجاب الرَّاهِب: «مَن بالخارج؟».

فَكَرَّر الخادم الاجابة، وأيضًا الرَّاهِب رَدَّ: «نحنُ لا نعرفه».

فَطَرَقَ الباب ثالثة.

فرَدَّ الرَّاهب: «مَن بالخارج؟».

فأجابَ الخادم: «رئيس قصر هايزنبرج».

فأجابه الرَّاهب: «نحنُ لا نعرفه».

وأخيرًا طَرَقَ الخادم الباب.

فسأله الرَّاهب مِنَ الداخل: «مَن بالخارج؟».

فأجابه: «**خاطيء مسكين**»، فقال:

«**نحنُ نعرفه، تفضَّل بالدخول**».

عجائب القديس يوحنا الرُّوسي

أَتكرهني يا قديسي؟

مرّت ثماني سنوات على زواج السيد يورغوس ك. وزوجته آرشنرولا، وقد انتظرا كل هذا الوقت على رجاء أن يُرزقا بطفل ولكن من دون جدوى حتى صارا في حزنٍ عميقٍ وألم. فالحياة تبدو حزينة جدًّا عندما لا تستطيع المرأة أن تُصبح أُمًّا، وتبقى من دون أولاد. ولكي يشجع امرأته قال زوجها مُنحنيًا بالقرب منها: «اصبري. إنها مشيئة الله. الحزن والدموع لا يغيّرون شيئًا. الأولاد ليسوا هدف الزواج الوحيد، بل قبل كل شيء أن ننمو روحيًّا ونصير واحدًا مع الله على الأرض وفي الأبَدِيَّةِ.»

استمرت الزوجة بالصلاة كل يوم من كل قلبها وروحها. فمنذ حداثتها علّمتها والدتها أن تصلي دائمًا وكانت تقول لها: «إن الناس الأقوياء يصلّون، فالصلاة تُسلّح البشر بالصبر والاحتمال خلال صعوبات الحياة».

وقد كانت، منذ صغرها، قد زارت **القديس يوحنا الرُّوسي** بصحبة عائلتها مرَّاتٍ عديدةٍ. وعديدة هي المرات التي كانت تقول فيها **للقديس**: « يا قديسي العظيم يوحنا، أنا أرجوك وأتضرع إليك أن تشفع لي عند الله حتى أكون مستحقة أن أصير أُمًّا. لمدة ثماني سنوات، وأنا أسمع جواب البشر والعلم بأني لا أستطيع أن أكون أُمًّا، وإنني لن أضم طفلًا بين ذراعيّ. إن بيتي فارغ وقلبي مملوء حزنًا. سأنتظر يا قديسي جوابًا من السماء بأنَّ الله سوف يعطيني طفلًا لكي يمتلئ بيتي وقلبي وحياتي بالفرح والسعادة. سأنتظر يا قديسي العظيم».

وفي مساء الثالث من كانون الأول ١٩٧٩ كانت السَّيدة مكتئبة تبكي محاوِلة أن تجمع ذهنها بصلواتها. ولكنها لم تستطع فقد كانت مُتْعَبَةً، وتشعر بضيق ورغبة بالبكاء والصراخ والتهديد. فتحوّلت إلى مزار الأيقونات، وما أن شاهدت **أيقونة القديس يوحنا الرُّوسي** حتى انفجرت بالبكاء قائلة: « ماذا فعلتُ لك بعد كل ذلك يا قديسي؟ أتكرهني؟ لماذا لم يمنحني الله هذه السعادة؟ أتكرهني يا قديسي؟»

وبعد منتصف الليل، صَعِدَ أحد الأشخاص درج بيتهم. فاستيقظ الزوجان وهمس الزوج: «لا تقولي شيئًا. قد يكون أحد الموظفين مُحطمًا بالوقت وجاء ليأخذ المفاتيح من المكتب. لا تتكلمي سوف يرحل».

ثم قُرِع باب غرفتهم وفُتح الباب فظهر وهجٌ في الظلام على **صورة القديس يوحنا** وصوت: «آرشنرولا، ماذا كنتِ تقولين في صلواتك الليلية؟ إنَّ القديسين لا يكرهون أحدًا. ليست مشيئة الله ألَّا يكون لكِ طفل. ستمر سنتان أخريان ثم تُعطَين هذه السعادة». ثم اختفى الضوء واضمحل صوت القديس.

ومرت سنتان وأتى فرح الله بوفرة مع الطفل الأول ثُمَّ مع الثاني والثالث. لقد ملأت أصوات الأولاد الحلوة البيت وقلوب والديهم.

«الصِّدِّيقون صَرَخُوا، وَالرَّبُّ اسْتَجَابَ لهَمُ، وَمِنْ جَمِيعِ احْزَانِهم نَجَّاهُم.» (مز ٣٣: ١٧).

بصلوات وشفاعات القديس يوحنا الرُّوسي أيُّها الرَّبُّ يسوع المسيح إلهنا إرحمنا وخلِّصنا . آمين.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122